Institute for Palestine Studies
The Library
Discarded

الملف: الاستيطان الصهيوني في فلسطين
موجة الهجرة الرابعة

فتح

المجلة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) الانتفاضة

العدد 607 نيسان 2010

19 -04- 2012
BIRZEIT UNIVERSITY

الغرب ونتنياهو وحفرة عريقات

...القمة العربية والتهويد والسؤال الصعب !

Digitized by Birzeit University Library

جامعة بيرزيت
المكتبة
19-04-2012
BIRZEIT UNIVERSITY

القمة عقدت... القمة انفضت
قمة ترحيل المشاكل وتأجيل القضايا..
وإعادة صياغة ذات البيان الختامي!

عقدت القمة العربية في سرت الليبية. لم تكن تختلف عن سواها من قمم العقود الأخيرة. شعارات، وعناوين كبيرة، وقضايا خطيرة، تظل كما اعتدنا في واد والنتائج في واد آخر. وحيث تبدأ عادة بلغة توهم بالمختلف وتنتهي في المحصلة إلى المعتاد. وعليه، ليست حصيلتها المتوقعة مبعث خيبة أمل للشارع العربي، لأنه أصلاً لم يكن يراهن عليها، ولا ينتظر منها أكثر بكثير مما خلصت إليه. إنها هي هي، قمة البيان الختامي إياه، والتمسك بالخيار الوحيد إياه. ربما فحسب كانت عبارات الشجب والتنديد والإدانة لفعائل جبهة أعداء الأمة خفتت أصداؤها هذه المرة. لكنما الوعود التي لا تترجم عادةً فهي في جديدها تظل نسخة من قديمها، وتكرار انكشاف فاضح للعجز العربي الذي لا حيلة للبيان الختامي، مهما تفنن مدبجوه في الصياغة التي يعيدون صياغتها في كل قمة، في ستر عوراته.

عقدت قمة سرت على عجل بمن حضر، وانفضت بسرعة وحتى بلا جلسة ختامية... لم تحتج أكثر من الوقت الذي صرفته، لأن المؤتمرين أراحوا أنفسهم من القضايا أمهات المعارك، فرحلوها من قمتهم العادية إلى الاستثنائية الموعودة... فلسطين، المفاوضات التصفوية الحصار على غزة، أو الحصار الدولي والصهيوني والعربي على إرادة الصمود والمقاومة الفلسطينية. العلاقة مع الجارة إيران. فحققوا بهذا، كما قيل، «إنجازاً باهراً»، لأنهم أنهوا مهمتهم بهدوء وعادوا من حيث أتوا دون مشادات أو انسحابات قبل إتمامها، تلك الأمور مثار الإثارة التي حضرت أجهزة الإعلام نفسها وانتظرت نقل طرائفها سلفاً، أو هذه المتوقعة حدوثها بين من تناقضاتهم البينية أكثر من تناقضات بعضهم مع عدوهم المفترض. جل ما كان في القمة الموصوفة بالعربية أنها أسفرت عن حالة انتظار وترحيل للمشاكل، وتأجيل للقضايا... وفي المحصلة ما يعني إعطاء العدو المزيد من الوقت لإكمال تهويد ما لم يهود من فلسطين.

كل ما استحقته منهم فلسطين، هو التصدق على القدس، التي شارفوا على تهويدها والتي صرفت بلدية الاحتلال لهذا خلال الأعوام الأخيرة ١٧ ملياراً من الدولارات، بمبلغ بخس هو خمسمائة مليون دولار، سوف يكون مآلها، كما هو معروف، كسابقاتها من مبالغ رصدت وما صرفت، أو ما وصلت وليس من المتوقع لها أن تصل. لم يرد ذكر للحصار على غزة. ولم تسحب القمة تفويض الجامعة لسلطة أوسلو العميلة بالتفاوض غير المباشر مع العدو لتصفية القضية، برغم كل ما فعله ويفعله وسيفعله نتنياهو، وكل ما خذلهم ويخذلهم وسيخذلهم رهانهم البائس على عدو الأمة الأول الأميركي، رغم أنه ثبت لهم أن المفاوضات عند من يأملون في مفاوضته وراعي هذه المفاوضات يعني مضموناً واحداً هو الاستيطان أو التهويد... ورغم جاري تراجع سطوة الراعي كونياً وتعثر مشاريع هيمنته، وتردي صورة من يرعاه كونياً.

ماذا يعني للأمة كل ما تقدم؟

لم تعد هناك من مراهنة أو أمل في النظام العربي الرسمي القائم. ولم يبق للأمة المغيبة المقهورة إلا أن تعتمد على قواها الحية المتمثلة في قوى المقاومة وعضيدها دول الممانعة.. المقاومة التي تمور تحت سطح سكون الأمة الخادع وتموج ولتتصدر الآن واقعها الواعد وتتبدى إرهاصاتها فوق هذا السطح، وحيث تفرض لأول مرة توازن الردع المقاوم، تحالف المقاومة والممانعة الذي غدا وحده يمثل روح الأمة، أو قمة كبريائها التي تستحق أن تعلو قاماتها.

الخبر في صورة..

فتح
المجلة المركزية
لحركة التحرير الوطني الفلسطيني
(فتح)
www.fatehmagazine.com
E-Mail : aljlil@tarassul.sy
fmint65@yahoo.com
fmint65@hotmail.com

رئيس التحرير: مأمون كيوان
مدير التحرير: علي محمد
المسؤول الإداري: محمد الجرادات
الإخراج الفني: صلاح الحسني

مكتب
دمشق - مهاجرين - روضة - جادة التوخي
هاتف (3313797) (3326134)
ص.ب:5621

الاشتراكات السنوية :
المؤسسات و الدوائر الرسمية : (3000) ل.س
الأفراد : (1000) ل.س أو ما يعادلها .

ثمن النسخة :
سورية : 30 ل.س . لبنان : 1500 ل.ل . الأردن : 500 فلس . الإمارات العربية المتحدة 10 دراهم . الجمهورية اليمنية : 25 ريالاً . الكويت : دينار واحد . قطر : 5 ريالات . جمهورية مصر العربية : جنيه واحد . الجماهيرية الليبية : دينار واحد . السودان : 5 جنيهات . تونس : نصف دينار . الجزائر : 10 دنانير . المغرب : 10 دراهم . البلدان الأجنبية : 5 دولارات .

Digitized by Birzeit University Library

تحول تاريخي في مسار المقاومة والممانعة

الجمهورية الإسلامية الإيرانية تحتضن فلسطين ومقاومتها

جبهة مقاومة وممانعة موحدة في مواجهة أي عدوان صهيوني في المنطقة

مؤتمر التضامن الوطني والإسلامي لمستقبل فلسطين: إجماع على خيار المقاومة لاستعادة الحقوق المغتصبة

خلقت هيمنة الولايات المتحدة الأميركية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، مناخاً مضاداً لها. وهناك ستة أمثلة على عملية بدء العد العكسي لانحدار وأفول نجم الإمبراطورية الأميركية شأنها في ذلك شأن الإمبراطوريات والقوى العظمى التي تبع فترة صعودها مرحلة هبوط واضمحلال. وتلك الأمثلة هي التالية : حرب فيتنام، ثورة ١٩٦٨، سقوط حائط برلين ١٩٨٩، هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فشل مشروع الشرق الأوسط الكبير في محطتيه العراقية والأفغانية، ثم فشل الكيان الصهيوني بوصفه الاستثمار الأميركي الاستراتيجي في الشرق الأوسط، في الحصول على شرعية وجود داخل رقعة الاستيطان في فلسطين ، أي فشله في تغييب الشعب الفلسطيني عبر تهويد فلسطين. وأيضا الفشل في الحصول على شرعية الوجود في محيط إقليمي تشكل حركة مقاومته، رغم تواضع إمكاناتها قوة ممانعة لا يمكن شطبها. وجميع هذه الأمثلة جعلت من الولايات المتحدة قوة آحادية تفتقد إلى القوة الحقيقية لفرض املاءاتها على قوى مقاومة وممانعة، صنفتها الولايات المتحدة الأميركية «منظمات إرهابية، و«دولاً مارقة»، لكن سرعان ما انقلب السحر على الساحر وتوفرت مؤشرات كثيرة على أن القوة العظمى الوحيدة أصبحت دولة مارقة بامتياز.

«توازن الردع»

من تجليات مثل هذا التطور النوعي انحداراً في مكانة الولايات المتحدة الأميركية، ما حدث من تحرك نوعي مقاوم، و ذو طبيعة إستراتيجية لقوى المقاومة والممانعة في المنطقة تجلى في لقاءات دمشق وطهران ونتائجهما وتداعياتهما التي توسس لرسم خريطة جديدة في المنطقة، التي كان الرئيس بشار الأسد قد دعا، في وقت سابق، إلى تحويلها إلى «شرق أوسط مقاوم». حيث شكلت اجتماعات العاصمة السورية، والتي ضمت الرئيس بشار الأسد والرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد وأمين عام «حزب الله» السيد حسن نصر الله، مبعث قلق حقيقي للكيان الصهيوني، باعتباره قفزة نوعية في عملية المواجهة التي كانت قد اكتسبت أبعادا خطرة خلال الأسابيع الماضية نتيجة تراكم التهديدات الصهيونية ضد سوريا ولبنان وقطاع غزة والجمهورية الإسلامية الإيرانية، وذلك قبل أن يرسم السيد حسن نصر الله معادلة جديدة لتوازن الردع مع الصهاينة تفيد بأن الرد على قصف مطار بيروت سيكون قصف مطار بن غوريون في تل أبيب، وتدمير بناء واحد في الضاحية الجنوبية سيقابل بتدمير أبنية في تل أبيب، وقصف الميناء أو أي من البنى التحتية في لبنان سيرد عليه بقصف ميناء حيفا وتدمير البنى التحتية في الكيان، ما حمل رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتانياهو على التصريح، بأن كيانه «لا يخطط لأي حرب»، في حين قال وزير الحرب ايهود باراك إنه يرى أن «لا حاجة إلى حرب أخرى» مع سوريا، وتبعه رئيس الكيان المخضرم شمعون بيريس ليؤكد أنه «لا يوجد أي نزاع بين إسرائيل ولبنان»!!

لقاءات دمشق:

جاءت اجتماعات دمشق التي يرى المراقبون بأنه تم خلالها اتخاذ قرارات مصيرية حيال الصراع العربي- الصهيوني، ووسائل وأدوات التنسيق السياسي والعسكري، وبلورة صيغ وأشكال المقاومة بمختلف تجلياتها، ما أطلق صفارة إنذار في الكيان الصهيوني بدلالة التحذير الذي أشاره رئيس وحدة الأبحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية الصهيونية العميد يوسي بايدتس، من هذه التطورات التي «تقع خلف الحدود مع لبنان على الجبهة

الشمالية»، وزعمه، في عرض أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، أن «سوريا تنقل إلى حزب الله مكونات لم تكن تجرؤ على تسليمها إليه قبل الآن». ولعل ما يزيد الأمر تعقيدا بالنسبة للجانب الصهيوني حيال هذا التطور هو أنه يأتي ليس فقط بعد معادلة الردع ، وإنما كذلك بعد رد دمشق على التهديدات الصهيونية، والذي شكل سابقة في مستوى اللغة الدبلوماسية السورية وعكس قرارا سوريا بالتصدي للعربدة الصهيونية المتمادية، كما أبرز تعاطي القيادة السورية الجدية مع التداعيات الإستراتيجية التي خلفتها حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦، وقراءة عدم قدرة كيان العدو على ردع «حزب الله» عن إعادة بناء قوته، وصولا إلى مستوى من الجهوزية الدفاعية والهجومية على حد سواء، وعجزه عن إجبار سوريا على التراجع عن موقفها الداعم لقوى المقاومة، فضلاً عن التغير الجوهري الذي طرأ على بنية الجيش السوري في السنوات الأخيرة، وفق ما يقول المراسل العسكري لصحيفة «معاريف» الصهيونية عمير ربابورت، الذي نقل عن جهات عسكرية قولها إنه «بينما كنا في غفوة، استطاع الأسد الوصول إلى توازن استراتيجي مع إسرائيل».

ولعل المتغير الأبرز، في هذا السياق، وفق المصادر العسكرية الصهيونية، هو أن السوريين الذين قرروا صرف أموال كثيرة على ثلاثة أسلحة، هي «الصواريخ المضادة للدبابات، والصواريخ الحديثة ضد الطائرات، وطبعا الاستثمارات الهائلة في الصواريخ الموجهة للعمق الإسرائيلي»، انتهجوا إستراتيجية جديدة يطلق عليها في الجيش الصهيوني اسم «نهج التفاضل»، وتقوم على زيادة وحدات الكوماندوس على حساب وحدات المدرعات، واحلال تكتيكات «حرب العصابات» بشكل متدرج مكان تكتيكات الجيوش الكلاسيكية، وامتلاك قاعدة صواريخ متطورة مضادة للدبابات من طراز «كورنيت» و«ماتيس»، وهي من أفضل الصواريخ في العالم. أما في مجال صواريخ أرض أرض، فقد حرصت سوريا على إقامة منظومات صواريخ «سكود» وصواريخ قصيرة المدى من قطر ٢٢٠ ميلليمترا وصواريخ ٣٠٢ ميلليمتر، يبلغ مداها ١٥٠ كيلومترا، كما تسعى الى امتلاك صواريخ روسية من طراز «اسكندر».

وهناك من جهة أخرى، تعاظم القدرات التسليحية الإيرانية في مختلف صنوف الأسلحة البرية والبحرية والجوية، حيث شهدت الصناعة العسكرية الإيرانية في الآونة الأخيرة تطوراً ملحوظاً في صناعة البوارج والسفن البحرية وأنظمة الصواريخ المتطورة. ويضاف إلى ذلك متابعة تطوير البرنامج النووي الذي يتيح لإيران قدرات دفاعية، ناهيك عن تدعيم كونها قوة إقليمية كبرى.

الخطوة المقاومة

نظمت وزارة الخارجية الإيرانية في العاصمة الإيرانية طهران خلال يومي ٢٧و ٢٨ شباط/ فبراير الماضي، «ملتقى التضامن الوطني والإسلامي لمستقبل فلسطين»، وحضره طيف واسع من أبرز المسؤولين الإيرانيين، وفي مقدمهم الرئيس محمود أحمدي نجاد ، إضافة إلى رئيس مجلس الشورى علي لاريجاني، ووزير الخارجية منوشهر متكي، وأمين المجلس الأعلى للأمن القومي سعيد جليلي، ووزير الأمن حيدر مصلحي. في حين شارك فيه العشرات من القيادات والناشطين الفلسطينيين، من بينهم وفد حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح-الانتفاضة برئاسة الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية للحركة، والأخ أبو عيسى عضو اللجنة المركزية.

الأبرز والأهم في هذه التظاهرة التي توقف

عندها المراقبون مليا كونها تأتي في لحظة سياسية استثنائية ومصيرية، وتشكل، من حيث التوقيت والمضمون، رسالة بالغة الدلالة حول قوى المقاومة ودول الممانعة في وجه التهديدات الصهيونية المتصاعدة ضد الفلسطينيين، واستكمالا واضافة نوعية لاجتماعات دمشق ونتائجها، و وكذلك للتحدي الذي وجهه السيد حسن نصر الله، والمواقف الصادرة عن الرئيسين السوري والإيراني. الأبرز والأهم، هو ليس فقط في ما تمخض عنه المؤتمر من قرارات وتوصيات تضمنه البيان الختامي (انظر نص البيان منشور في موضع آخر)، وانما كذلك في تلك الحفاوة الإيرانية في استقبال الوفود الفلسطينية، والتغطية الإعلامية الواسعة التي وفرتها إيران التي لم يتطرق كبار مسؤوليها إلى قضية «الملف النووي» الملتهبة، بل ركزوا على «رمزية» قضية فلسطين في وجدان الشعب الإيراني والمسلمين عموما، وضرورة توفير أقصى درجات الدعم لهذا الشعب المقاوم، إضافة إلى رزمة اللقاءات التي عقدها قادة المقاومة، على هامش أعمال المؤتمر، وبالأخص اللقاء المهم مع مرشد الثورة الإسلامية الإمام السيد على الخامنئي، واللقاء مع رئيس الجمهورية محمود أحمدي نجاد، ومع وزير الخارجية منوشهر متكي، ورئيس مجلس الشورى علي لاريجاني، والتي جرى خلالها التأكيد على التمسك بنهج المقاومة في مواجهة الهجمة الصهيونية المتصاعدة، والتأكيد كذلك على التكاتف في مواجهة أي حرب قد يشنها الصهاينة عل أي من مواقع المقاومة والممانعة.

أكثر الشعوب صمودا ومقاومة

Digitized by Birzeit University Library

المرشد الأعلى للثورة الإسلامية السيد على الخامنئي، وخلال استقباله قادة المقاومة الفلسطينية قبل افتتاح المؤتمر، ألقى كلمة مهمة (انظر نص الكلمة منشور في موضع آخر).

وبعد أن أكد مرشد الثورة على تنامي قدرات «جبهة المقاومة» في مواجهة «جبهة الاستكبار»، خلص إلى أن تجربة تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران قبل أكثر من ثلاثين عاما، والتي كانت تبدو مستحيلة في ظل الدعم الغربي الكبير للشاه تظهر أن «تحرير فلسطين سوف لن يكون أصعب من انتصار الشعب الإيراني على نظام الشاه البائد».

وخلال أعمال المؤتمر الذي عبر عن التضامن الإيراني مع الشعب الفلسطيني ومقاومته، ووجه رسالة شديدة اللهجة إلى الصهاينة وتحذيرهم من مغبة شن اعتداءات جديدة في المنطقة.

ألقى الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح- الانتفاضة» كلمة مهمة حيا في بدايتها الذكرى الحادية والثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية في إيران التي وقفت، ومنذ البداية إلى جانب شعب فلسطين وحقوقه الوطنية، وحققت إنجازات نوعية في مختلف الميادين والمجالات. وركز الأخ أبو موسى في كلمته (انظر نص البيان منشور في موضع آخر)، على مسائل ثلاث أساسية: ما تتعرض له مدينة القدس من تهويد واستيطان، والحصار الظالم المتواصل الذي يتعرض له قطاع غزة، وحال الساحة الفلسطينية المتردية بسبب الخروج عن المبادئ والثوابت، واللهاث وراء أوهام التسويات.

واعتبر الرئيس محمود أحمدي نجاد، في كلمته في ختام المؤتمر، أن «الكيان الصهيوني انتهى أوانه... فلسفة وجوده انتهت»، تابع، خلال استقباله قادة المقاومة الفلسطينية، «يد الله سوف تطهر هذه المنطقة من دنس الصهاينة، فعودوا إلى بيوتكم». وأضاف: «هم على حافة الهاوية والطريق المسدود.. وإن شاء الله سيرسلون إلى قعر جهنم»، مقترحا إجراء استفتاء عالمي حول الصهاينة وكيانهم المصطنع لتأكيد رفض الشعوب لهم».

وبعدما وصف الصهاينة بأنهم يمثلون «شياطين العالم، وحفنة من العنصريين، ووجودهم على شبر واحد في المنطقة يمثل إساءة للعالم»، وتوجه إلى الفلسطينيين بالدعوة لـ «رص صفوف المقاومة»، أعلن الرئيس الإيراني أن «بلدان المقدمة في جبهة الصمود، وشعوب المنطقة، يجب أن تستعد بشكل تام إذا قرر العدو ارتكاب عدوان.. وعندها سيتم إنزال النهاية بحياة هذا الكيان لمرة واحدة وللأبد»، مؤكدا أن «علامات النصر واضحة»، وأنه «إذا كرر حروبه على لبنان أو غزة، فلا شك أن زواله سيكون حتميا».

كما ألقيت في جلسات المؤتمر كلمات قادة الفصائل الفلسطينية وفي الجلسة الختامية للمؤتمر قال رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني إن على أميركا «تحمل تشييع جثمان الكيان الصهيوني عاجلا أم آجلا»، ودعا إلى اتخاذ قرار جاد للمقاومة، واعتبر أمين المجلس الأعلى للأمن القومي سعيد جليلي أن «السعي لتحرير فلسطين، لا يقتصر فقط على تحرير أرض، بل هو سعي لتحرير العالم برمته من علاقات الهيمنة»، وأعلن وزير الأمن حيدر مصلحي استعداد وزارته لوضع القدرات كافة في خدمة الفصائل الفلسطينية «من أجل تحقيق أهدافها».

الرئيس أحمدي نجاد: علامة النصر واضحة، وسيتم إنزال النهاية بحياة الكيان الصهيوني لمرة واحدة وإلى الأبد

السيد علي لاريجاني: على أميركا «تحمل تشييع جثمان الكيان الصهيوني عاجلا أم آجلا»

السيد سعيد جليلي: إن السعي لتحرير فلسطين، لا يقتصر فقط على تحرير أرض، بل هو سعي لتحرير العالم برمته من علاقات الهيمنة

كلمة الأخ أبو موسى

- **ما يقوم به العدو من إجراءات تهويدية يهدد المسجد الأقصى وعروبة القدس وإسلاميتها.**
- **يراد من مشروع حل الدولتين أخذ اعتراف الشعب الفلسطيني بالكيان الصهيوني وحقه بالوجود.**
- **لا بد من العمل على إعادة بناء منظمة التحرير على قاعدة الميثاق الوطني وبرنامج وطني عماده المقاومة.**

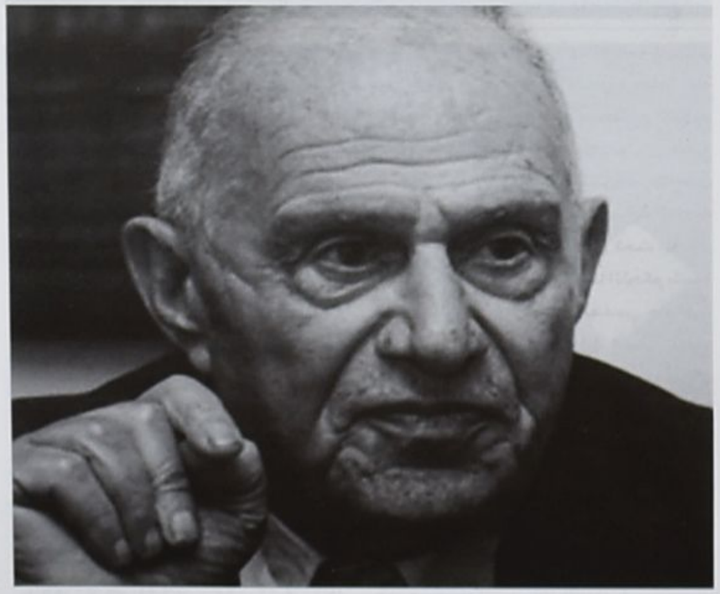

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحييكم أيها الإخوة المشاركون في أعمال مؤتمر دعم المقاومة هذا، الذي يأتي في ذكرى الانتصار المجيد في قطاع غزة على العدوان الصهيوني الآثم، كما أحيي القائمين على هذا المؤتمر.

وأحيي من على هذا المنبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية وقائدها ومرشدها سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي حفظه الله، وفخامة رئيس الجمهورية الدكتور محمود أحمدي نجاد، وأتوجه إليهم وإلى الشعب الإيراني المسلم الصديق بأحر التهاني بالذكرى الحادية والثلاثين لانتصار الثورة وقيام الجمهورية الإسلامية.

إنها مناسبة عزيزة وغالية على قلوبنا نحن أبناء الشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية، كما هي عزيزة على قلوب كل الأحرار والشرفاء في أمتنا العربية الإسلامية، لأن أهميتها وهذا ما أثبتته العقود الثلاثة الماضية لم تنحصر في الداخل الإيراني فحسب، بل امتدت وأشرق نورها في سماء أمتنا جمعاء نظراً لما أكدت عليه من مواقف صادقة وأصيلة في الوقوف إلى جانب قضايا الأمة برمتها عرباً ومسلمين، ولوقوفها الحازم إلى جانب نضال وجهاد فلسطين، واعتبارها قضية فلسطين قضيتها المركزية، فعبرت عن تمسكها بالحقوق الوطنية ورفضت كل أشكال التفريط والمساومة، موقف تجلى منذ اليوم الأول لانتصار الثورة بقيادة الراحل الخالد آية الله العظمى الإمام الخميني رضوان الله عليه، وهو يعلن اليوم طهران وغداً القدس، مواقف تواصلت في العقود الثلاثة الماضية وحتى يومنا هذا على مختلف الصعد وفي كل المراحل والظروف البالغة الخطورة، لم تتبدل فيها مواقف الجمهورية الإسلامية، فظلت راسخةً قوية، لم تقعدها التهديدات والاتهامات عن القيام بواجباتها، ولم تثنها الوعود والإغراءات عن التزامها مصالح الأمة وتحررها واستقلالها.

فمبارك للشعب الإيراني ثورته الإسلامية المجيدة، وقيادته الثورية الصادقة، وإنجازاته العلمية الكبيرة سواء على صعيد امتلاك الطاقة النووية أو إطلاق المركبات الفضائية، وهي إنجازات تمت تحت ظلال الثورة وبركاتها، ونتيجة حتمية للتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعلمي الذي تشهده إيران، وبفضل التفاف جماهير الشعب

Digitized by Birzeit University Library

الإيراني حول ثورته وقيادته، وهي إنجازات ستكون ثمارها لما فيه مصلحة كل الأحرار والشرفاء في أمتنا العربية والإسلامية.

أيها الإخوة الكرام

نحن اليوم في مؤتمر دعم المقاومة، وهو واحد من العديد من المؤتمرات التي رعتها ودعت إليها قيادة الجمهورية الإسلامية، وإذا كنا نعتز بهذا، لكن نجد أنفسنا نشعر بالحزن والألم لسماع بعض الأصوات التي تروج العداء لإيران، فتكيل الاتهامات وتجعل منها عدواً، وتجعل من العدو صديقاً، تصالح وتطبع وتروج للسلام مع الكيان الغاصب وتصعد من حملاتها الظالمة ضد إيران وثورتها وقيادتها.

نحن هنا اليوم أبناء الشعب الفلسطيني المتمسكون بالحقوق وبالمقاومة، لنقول للجمهورية الإسلامية الإيرانية، إننا معكم وإلى جانبكم، وأنتم الأصدقاء والأنصار والحلفاء، فبارك الله بكم، وثقتنا أن العدو لن يحصد إلا الفشل والاندحار، وسيكون النصر حليف أمتنا بإذن الله.

أيها الإخوة الكرام

كثيرةٌ هي العناوين والقضايا التي يمكن الحديث بها وعنها، لكني أود أن أتحدث في ثلاث مسائل حتى لا أطيل.

المسألة الأولى – ما تتعرض له مدينة القدس والمسجد الأقصى فمنذ الاحتلال الصهيوني والعدو يحاول تهويد القدس، يصادر الأراضي، يجري الحفريات التي أدت إلى ارتجاج أساس المباني وجعلها آيلة للسقوط، يواصل سياسة الاستيطان والتهويد وعزل القدس عن الضفة وتطويقها من جميع الاتجاهات ببناء المستوطنات التي أضحت مدن وقلاع وتغير الأسماء لمحو الهوية العربية الإسلامية، فضلاً عن الأنفاق تحت المسجد الأقصى، الأمر الذي يعني راهناً التحكم بنسبة ٧٥٪ ضمن حدود بلدية القدس جغرافياً، أما على الصعيد الديمغرافي فنسبة العرب بالقدس لا تتجاوز الـ ٣٠٪ وهذا ليس لسكان البلدة القديمة، بل يشمل سكان القرى العربية التي جرى ضمها لبلدية القدس.

إن ما يقوم به العدو من إجراءات وتهويد وحفريات يهدد المسجد الأقصى وعروبة القدس وإسلاميتها، ضارباً عرض الحائط بكل المواثيق الدولية، وقراره بضم الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل ومسجد الصحابي بلال بن رباح في بيت لحم ليكونوا من ضمن الآثار اليهودية الأمر الذي يتنافى مع حقائق التاريخ.

إن القدس والأقصى يستصرخ ضمائر الأحرار والشرفاء لإنقاذهما من التهويد، والشعب الفلسطيني سيظل على خط المقاومة والجهاد لإفشال هذه المخططات.

المسألة الثانية، أيها الإخوة، وهي حصار قطاع غزة بعد عدم تمكن العدو من تحقيق أهدافه من الحرب التي شنها قبل عام ونيف، لقد مرت هذه الفترة على حربه العدوانية صمد فيها أهل القطاع، واستبسل فيه المقاتلون وأفشلوا مخططات العدو في تصفية المقاومة، لكن كان من نتيجة هذه الحرب تدمير واسع في المباني ودور السكن والمساجد والمشافي الأمر الذي يحتاج إلى إعادة إعمار واسعة لم تبدأ بعد نتيجة الحصار الظالم.

إنهم يهدفون من وراء سياسة الحصار والإغلاق هذه، كسر إرادة شعبنا وفرض الشروط عليه، وهذه هي الأعمال الحربية لا زالت تتواصل لاغتيال المناضلين وتدمير الأنفاق شريان حياة أهل القطاع يتواصل، وإغلاق معبر رفح أحد مظاهر هذا الحصار، وبناء الجدار الفولاذي للإطباق على الحصار.

إن هذه الإجراءات كلها لا تكسر إرادة شعبنا، سيواصل صموده ومقاومته، فهذا هو خيار شعبنا، ثبات وصمود ومقاومة، لكن المسؤولية كبيرة وهي ملقاة على عاتق كل الأحرار والشرفاء بالأمة ولدعم صموده وممارسة أعلى أشكال الضغط لفك هذا الحصار الجائر.

والمسألة الثالثة :هي حال الساحة الفلسطينية، وهذه الأزمة التي سببها الخروج عن المبادئ والثوابت، والتنازل والمساومة، التآمر على المقاومة واللهاث وراء أوهام التسويات.

ويزيد من حدة المخاطر أن القضية تمر بمنعطف خطير والمؤامرات تتوالى، وانتظار المبادرات العقيمة على شاكلة (حل الدولتين) إن مشروع حل الدولتين يختلف عن شعار الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس، فمشروع حل الدولتين يراد منه أخذ الشعب الفلسطيني بكل قواه إلى الاعتراف والإقرار بالكيان الصهيوني وحقه بالوجود بل (بإسرائيل دولة يهودية).

ويهودية الدولة هذا المطلب الجديد يعني أن لا عودة للاجئين الفلسطينيين ويعني أيضاً طرد السكان العرب الصامدون تحت الاحتلال منذ عام ١٩٤٨م، ويعني أيضاً طرد سكان القدس وكيف لا ما داموا يعلنون أن القدس عاصمتهم الأبدية، والدولة الفلسطينية المزعومة هذه في رؤية نتنياهو منزوعة السلاح لا جيش لها ولا مجال جوي لها خاضعة للترتيبات أمنية صهيونية، منزوعة السيادة تسدل الستار عن حق العودة، وتصفية المقاومة وتجريد الشعب

الفلسطيني من سلاحه، مقدمةً لهذا الحل الوهم وهذه المشاريع البائسة.

لا سبيل أيها الإخوة من الخروج من هذا المأزق وصون القضية إلا بالعمل على إعادة بناء منظمة التحرير على قاعدة الميثاق الوطني وبرنامج وطني عماده المقاومة، فالحوار الوطني ينبغي أن ينصب لتحقيق هذا الهدف، ودون ذلك ستزيد الأزمة استفحالاً، ويرى العدو في ذلك فرصةً ذهبية لاستكمال مشاريعه ومخططاته في تصفية قضية فلسطين، مستغلاً في الوقت نفسه تنصل بعض أطراف النظام الرسمي العربي من التزاماتهم اتجاه قضية فلسطين، ومن خضوع سلطة ربطت نفسها ومصير الشعب بالتزامات ومعاهدات ونهج ثبت عقمه وعدم جدواه بعد ثمانية عشر عاماً من المفاوضات، مستعدة للتنازل، لا تعرف ثابتاً، تطالب بتجميد الاستيطان ولو لفترة قصيرة بدلاً من الإصرار على اقتلاع المستعمرات، وتلاحق المقاومة، تزج بالمقاومين بالسجون، وتبقي على حالة الانقسام وتدير الظهر لكل دعوات الوحدة الوطنية.

وأخيراً نؤكد أيها الأخوة أن كل محاولات العدو لتصفية قضيتنا وحقوقنا ستفشل، فشعبنا شعب مناضل وصابر، متمسك بحقوقه، تاريخه تاريخ مقاومة وجهاد وتضحية واستشهاد، وثقته بالأحرار والشرفاء في الأمة لن تتزعزع، ثقته بكل مكونات الصمود والمقاومة، بالجمهورية الإسلامية الإيرانية بقيادة آية الله العظمى الإمام الخامنئي و بسوريا الصامدة بقيادة السيد الرئيس بشار الأسد، بحزب الله بقيادة السيد حسن نصر الله، ومعادلة الصراع والردع الجديدة التي أدخلها لتزعزع معنويات العدو، وتشكل درساً تاريخياً لكل الشعوب التي تناضل في سبيل أوطانها.

وختاماً، أرجو أن أتقدم باقتراح أمل أن يلقى قبولكم وهو أن يتبنى مؤتمركم هذا، تقديم رسالة باسم المؤتمر إلى القمة العربية التي ستنعقد نهاية الشهر القادم نطالب بها بأن يكون على رأس جدول الأعمال مسألة حماية القدس من التهويد والتهجير لسكانها، ووضع خطة ملزمة مدعومة بإمكانيات من أجل صمود سكان هذه المدينة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وثورة حتى النصر

نص كلمة مرشد الثورة الإمام الخامنئي في لقائه بالسادة المشاركين في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر غزة

• السبيل الوحيد لحل مسألة فلسطين هو المقاومة والكفاح.

• قضية فلسطين ليست مسألة تكتيكية، أو إستراتيجية سياسية فحسب بل هي مسألة عقيدة في منظور الثورة الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحب بكم ضيوفنا الأعزاء، الأخوة المحترمون والأخوات المحترمات جميعاً، وأسأل الله العلي المتعال بضراعة أن يوفقنا وإياكم لاستدامة هذا الطريق ومواصلة هذا المؤتمر الكبير.

وأشكر الإخوة الأعزة الذين أقاموا هذا الملتقى بطهران. ونرجو إن شاء الله أن يشكل اجتماعكم –أيها الأحبة– خطوة إلى الأمام، وبادئ ذي بدء أرى من اللازم أن أقدم للشعب الفلسطيني، ولشعب غزة بالذات شكري وتقديري اللائق، ما ذكرتموه من أنماط تقدم المقاومة واستحكام المواقع الفلسطينية في هذه السنوات الأخيرة، لم يكن ليتحقق لولا هذا الصمود العظيم للشعب الفلسطيني، ومن الحق والإنصاف أن يقال: إن الشعب الفلسطيني وشعب غزة خصوصاً قد خلدا في التاريخ اسميهما باعتبارهما أشد الشعوب مقاومة.

إن ما مر على الشعب الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

خلال هذه السنوات الأخيرة- حيث اندلعت الانتفاضة وتشكلت المقاومة الواقعية بشكل ظاهرة عجيبة وهي لا تعبّر إلا عن هداية ومعونة إلهية.

إن المرء ليشهد شعب غزة والمصائب والمرارات والضغوط تصب عليه سواء في اثنين عشرين يوماً من الحرب أو ما حصل بعدها من مصائب تترى، ولكنه يبقى صامداً صمود الجبل، إنه لواقع عظيم جداً لا يمكن إغفاله. وما أريد التأكيد عليه هو أن هذه المعنويات وهذه الاستقامة يجب تعميقها في الشعب.

لقد ذكرتم-وهو الحق- أن السبيل الوحيد لحل مسألة فلسطين هو المقاومة والكفاح، لكن المقاومة والصراع متوقفان على استدامة الروح المعنوية في الشعب، واستمرار الأمل لديه، وثباته في الميدان، وهذا -في رأيي- هو أكبر الأعمال التي يجب أن تقوم بها الفصائل الفلسطينية، والمنظمات الفلسطينية، والمجاهدون الفلسطينيون.

إن هذه الضغوط الموجهة لغزة اليوم من الطرفين، سواء من العدو الصهيوني أو من الطرف الآخر، إنما تستهدف أن يُعرض الشعب عن المقاومة، وكذلك فإن الضغوط على الضفة الغربية سواء ببناء المستوطنات، أو الضغوط الموجهة للقدس (وهو ما وضحه الأخ أبو موسى) أو التضييق العجيب وبناء الجدار العازل وأمثال ذلك، كل ذلك لينصرف الشعب عن المقاومة ويتجه نحو خيار التسليم. كلا يجب أن تمنعوا ذلك، يجب أن يبقى الشعب الفلسطيني، وشعب غزة، هذا الشعب الحديدي، أملاً بالمستقبل. وإن هذه الحركة العظيمة سوف تصل إلى نتيجتها المرجوة. كانت هذه هي النقطة الأولى وهي في رأيي مهمة جداً.

أما النقطة الأخرى فهي أن ما نلحظه في قضية فلسطين من تقدم مشهود وواضح لا يقبل الإنكار، حيث التنامي المتتابع يوماً بعد يوم لجبهة المقاومة في قبال جبهة الاستكبار والكفر، إنما هو ناشئ من الإيمان بالله والتوكل عليه وتطعيم الكفاح بالعنصر المعنوي، وإذا فقد الكفاح عنصر الإيمان فإنه سيتعرض للضعف والانهيار، وإنما يوفق الصراع إذا اقترن بالإيمان بالله والتوكل عليه فيجب تقوية الروح الدينية والإيمان الحقيقي بالوعود الإلهية والتوكل عليه تعالى وحسن الظن به وبوعوده، وبطبيعة الحال يجب أن نعتمد نحن على الله تعالى ونحسن الظن به وهو أصدق القائلين إنه تعالى يقول (ولينصرن الله من ينصره) وفي الحديث الشريف: (من كان لله كان الله له) ويطلب أن لا نخشى العدو، ويعلن تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) وهو تعالى الصادق، فإذا عملنا بواجبنا وتحركنا لله وكافحنا لله واستهدفنا رضاه فإن النصر سيكون من نصيبنا بلا شك.

إنني أوكد لكم أن انتصار الشعب الفلسطيني في استعادة لحقه ليس أصعب من النصر الذي حققه الشعب الإيراني وأوجد به الجمهورية الإسلامية، ذلك أن من يلحظ ذلك اليوم، يوم حكم الطاغوت، وبالخصوص إلى النظام الإسلامي من المحالات المقطوع بها، ومن غير الممكن أن يتحقق ذلك وفق الموازين الطبيعية والعادية؛ حيث القدرة الأميركية في المنطقة ودعمها غير المشروط لنظام الشاه وحيث انعدام الإمكانات للمكافحين بمعنى أن إمكاناتنا في صراعنا ذلك اليوم كانت أقل بكثير من إمكاناتكم وإمكانات شعبكم في غزة والضفة اليوم، ورغم كل ذلك فقد تحقق هذا المحال وعاد ممكناً وواقعاً، وذلك ببركة استمرار الكفاح، والتوكل على الله، وببركة توفر القيادة المصممة القاطعة لإمامنا الكبير. وأنا أؤكد هنا أن هذا الأمر يمكن أن يتحقق في فلسطين. إن البعض عندما يشاهد القدرة الأميركية، والدعم الغربي للصهاينة، وقدرة الشبكات المالية لهم في أميركا وسائر نقاط العالم، وهيمنتهم الإعلامية، يتصور أن موضوع إعادة فلسطين للفلسطينيين أمر غير ممكن. إنني أقول: كلا إن هذا الأمر اللا ممكن سيعود ممكناً بشرط الصمود والاستقامة، إن الله تعالى يقول: (فلذلك فادع واستقم كما أمرت) إن الاستقامة لازمة والصمود لازم، واستدامة الطريق لازمة.

وإن من مقدمات هذه الاستدامة هذه اللقاءات وهذا التنسيق، وهذا النشاط الإعلامي على المستوى العالمي، هذه الأقوال التي ذكرتموها وكلها صحيحة، إن اقتراحاتكم كلها لازمة وصحيحة. لقد سمم هؤلاء الأراء العامة في العالم. إن أميركا والغرب اليوم يكذبون بكل صراحة، ويعمدون إلى فاجعة عظيمة مثل فاجعة غزة في حرب الأيام الاثنين والعشرين فيقلبونها رأساً على عقب. هذا أمر يجب الالتفات إليه.

وما أود التذكير به أن غزة وفلسطين اليوم ميدان لفضيحة الغرب؛ إنه بادعائه لحقوق الإنسان يتغافل عن أكبر وأشد نقض لحقوق الإنسان في غزة، وقد مرت أيام طوال في السنة الماضية لم ينبس الغرب فيها ببنت شفة لصالح شعب غزة ودفاعاً عنهم، نعم مرت أيام طوال متعاقبة كنا ننتظر فيها من أوروبا (ودعونا من أميركا) من منظمات حقوق الإنسان، من المنظمات التي تدعي الدفاع عن الحرية، ننتظر أن تصدر كلمة واحدة لصالح شعب غزة ولكنها لم تصدر، نعم عندما تعالت أصوات الشعوب في الأقطار العربية وسارت المظاهرات وارتفعت أصوات الاعتراض وعلت الفضائح بدأوا بالحديث، والحديث فقط.

إن الغرب لم يدعم شعب غزة رغم هذه الفاجعة العظيمة التي وقعت أمام الأعين. وها هو لحد اليوم يقف نفس تلك المواقف. وها هي الأمم المتحدة تفضح نفسها، أما أميركا فكانت مفضوحة وعادة أكثر فضيحة. ورغم تقرير غولدستون وإطلاعهم عليه جميعاً مما يوجب عليهم أن يقدموا القادة الجناة المجرمين للنظام الصهيوني للمحاكمة والعقاب، ولكن لا خبر هناك، وليس هناك أي إجراء بل ما زال الدعم لهذه الدولة الغاصبة والصنيعة الصهيونية يتزايد. إن هذه الأمور قد فضحت الغرب. وهذه أميركا ودولتها الجديدة ورئيسها الجديد ادعى أنه يسعى للتغيير ولكن هذا الشعار لم يكن إلا ليبتر الحالة السيئة التي وصلت إليها في هذه

المنطقة الإسلامية عسى يتم ترميمها لكنها لم تستطع ذلك، وليعلموا أنهم لن يستطيعوا ذلك حتى النهاية لأنهم يكذبون، نعم يكذبون بصراحة أمام الشعوب وفي قضايا كثيرة.

ونحن الآن في الجمهورية الإسلامية نشهد دائماً أكاذيبهم ونسمعها؛ قلب الحقائق، والوقائع اعتدنا عليه خلال ثلاثين عاماً. إلا أن العالم والتاريخ سوف يحكمان عليها، إن المدنية الغربية تقف اليوم تجاه القضية الفلسطينية أمام تحديات، وتقف الليبرالية الديمقراطية كذلك أمام تساؤلات. ويعني ذلك أنكم في فلسطين بمقاومتكم فضحتم ادعاء الغرب لمئات السنين كان الغرب يتحكم من خلاله بالعالم، وأبطلتموه.

نعم إن المقاومة مهمة إلى هذا الحد وعظيمة. إن مسألة غزة ليست مسألة قطعة من الأرض، ومسألة فلسطين ليست مسألة جغرافية بل هي مسألة إنسانية بشرية، إن مسألة فلسطين تمثل معياراً للالتزام بالمبادئ الإنسانية أو معاداة هذه الأصول، إنها تبلغ إلى هذا المستوى من الأهمية. وستواجه أميركا الخسارة في تعاملها أيضاً، إن هذه الأمور التاريخية، لعشر سنوات أو عشرين سنة أو ثلاثين سنة من التحولات تمثل لحظة واحدة سوف تنقضي، وسيهزم بلا شك تاريخ أميركا ومستقبل أميركا أمام هذه الحركة التي قام بها الأميركيون خلال الخمسين سنة الأخيرة بالنسبة لقضية فلسطين، وستتحول فلسطين إلى عار على أميركا وخلال القرون المتمادية الآتية. إن فلسطين ستتحرر بلا شك، نعم ستتحرر فلسطين وستعود إلى أهلها، وستشكل هناك دولة فلسطين دون أي ترديد، ولكن عار أميركا وعار الغرب لن ينمحي، إنه سيرتكسون في العار. ولا شك وفقاً للتقدير الإلهي إن الشرق الأوسط الجديد سيتشكل، إنه سيكون الشرق الأوسط الإسلامي، كما أن مسألة فلسطين مسألة إسلامية، وكل الشعوب مسؤولة أمامه، نعم كل الشعوب وكل الحكومات مسؤولون تجاه فلسطين سواء في ذلك الدول الإسلامية أو غير الإسلامية، إن كل حكومة تدعي نصرتها للقضايا الإنسانية مسؤولة ولكن واجب المسلمين أعظم، إن الحكومات الإسلامية مسؤولة ويجب أن تتحمل مسؤولياتها، وكل حكومة لا تتحمل مسؤوليتها تجاه فلسطين ستواجه الضربة المناسبة، لأن الشعوب قد استيقظت وهي تطالب حكوماتها، وعلى هذه الحكومات الرضوخ والتسليم بهذا الأمر.

إننا في الجمهورية الإسلامية لا نعد مسألة فلسطين مسألة تكتيكية، ولا مسألة إستراتيجية سياسية بل هي مسألة عقيدة، مسألة قلب، مسألة إيمان، ولذا فليس هناك بيننا وبين شعبنا أية فاصلة في هذا المجال، وبنفس المستوى الذي نولي الاهتمام فيه لموضوع فلسطين فإنا شعبنا يهتم أيضاً بها، إن أولئك الذي يعرفون حقيقة المسألة وهم الأكثرية الساحقة لشعبنا بل كل الشعب، نعم كلهم يحملون تلك الدوافع. وها أنتم تشهون هذا الشعب في يوم القدس العالمي في شهر رمضان وآخر جمعة منه حيث أعلنه الإمام يوماً للقدس. كيف ينطلق هذا الشعب في المدن الكبيرة والصغيرة وحتى في القرى والأرياف في مظاهرات هي في مستوى مظاهرات الحادي عشر من فبراير يوم انتصار ثورتنا الإسلامية، طبعاً هذا يرتبط بشعبنا وقطرنا، حيث يبدي الشعب في يوم القدس نفس المشاعر التي يبديها يوم الحادي عشر من فبراير، إنه ينطلق في كل المدن الكبيرة والصغيرة والأرياف رغم حرارة الجو أو برودته، ويتظاهر في الشوارع ليعلن حضوره ودوافعه. واعلموا إننا نحن المسؤولين لو لم نقف أمام الشعب فإن الكثير من الشباب كان سيحركون ويضحون بأجسامهم في الميدان الفلسطيني وفي قضية غزة تحرك شبابنا إلى المطار وأصروا على الذهاب ولم تنفع معهم كل المناشدات، إلا أنهم انصرفوا عن ذلك بعد أن وجهتُ لهم رسالة بذلك، ولولا ذلك فإنهم لم يكونوا على استعداد للعودة، لقد كانوا يصرون على الذهاب إلى غزة، منادين بأن علينا أن نحملهم إلى هناك وهم يتصورون أنفسهم قادرين على الوصول.

هذه هي دوافع شبابنا. إن مسألة غزة وهي مسألة فلسطين هي مسألتنا، مسألتنا الإسلامية، مسألة كل المسلمين، ووظيفتنا، وما نفعله لها هو واجبنا ولا منّة لنا على أحد، إنه واجبنا قمنا به، ونسأل الله تعالى أن يمن علينا كي نؤدي واجبنا، لكننا نطالب منكم يا من حضرتم إلى هنا الثبات على ما قلتموه، وتأكيد ذلك بكل صراحة ولا تدعو للمجاملات السياسية والتهويلات السياسية دوراً تتغلب فيه على هذا المنطق، سيتضرر كل من خرج من الفلسطينيين عن خط المقاومة، إن إسرائيل لا مصداقية لها في طلب السلام، بل حتى لو كانت صادقة فهي أيضاً على خطأ ولا حق لها هنا، نعم لا مصداقية لها أيضاً. وأولئك الذين ساروا على خط المحادثات اضطرّوا للقبول بأمور فرضها العدو، ولو أنهم خرجوا قيد أنملة عن هذا الخط المفروض فإنهم سيحذفون أو يهانون، وقد لاحظتم أنتم نماذج الأمرين ورأيتموها، فقد حُذف البعض وأهين البعض الآخر وحقّر، إن طريق القدس، طريق فلسطين طريق تجاه فلسطين، وحل مسألة فلسطين ليس إلا طريق الكفاح وهذا ما أكده السادة الحاضرون، إنني لفرح أن أرى أجماعكم على ذلك وقبولكم له، ومن لا يقبل ذلك يوجّه -أحسّ أم لم يحس- ضربة إلى مسألة فلسطين، ولو علم بذلك فهي الخيانة وإلا فهو الجهل ولكنها على أي حال ضربة توجه للمسألة الفلسطينية. ليس لفلسطين سبيل إلا المقاومة، هذا ما يجب أن يقولوه ويطلبوه، وما يجب أن تكرره الحكومات الإسلامية. طبيعي أن الكثير من الحكومات العربية قدمت امتحاناً سيئاً في قضية غزة والقضايا الأخرى التي سبقتها. متى ما كانت مسألة فلسطين تطرح كانت هذه الحكومات تؤكد على أنها مسألة عربية، ولكن عندما حان وقت العمل حذفت مسألة فلسطين تماماً من معادلاتهم، فهم بدلاً من دعم فلسطين، والفلسطينيين وإخوتهم العرب، (فإن لم يعتقدوا بالإسلام فليلتزموا بالعروبة على الأقل) نعم عندما حان وقت الجد والعمل، تراجع الجميع من الميدان، وكان الامتحان

Digitized by Birzeit University Library

البيان الختامي لملتقى التضامن الوطني والإسلامي لمستقبل فلسطين

برعاية كريمة من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، انعقد في طهران في الفترة ما بين ٢٧ و٢٨ فبراير (شباط) ٢٠١٠، الملتقى التضامني مع الشعب الفلسطيني، بمناسبة الذكرى السنوية لانتصار الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، تحت عنوان «التضامن الوطني والإسلامي لمستقبل فلسطين، بمشاركة حشد من القوى والفعاليات والفصائل الفلسطينية والعربية والإسلامية.

في البداية يتوجه الملتقى بالشكر والتقدير للمرشد الأعلى للثورة الإسلامية آية الله السيد علي خامنئي لرعايته هذا الملتقى ودعمه المتواصل للمقاومة الفلسطينية، مقدراً جهود القيادة والحكومة والبرلمان والشعب الإيراني في دعمهم المستمر للقضية الفلسطينية.

وإذ يحيي الملتقى صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة للاحتلال، فإنه يؤكد على حقه في مواصلة المقاومة بكافة أشكالها من أجل تحرير أرضه واستعادة كامل حقوقه الوطنية الثابتة.

المؤتمر رسالة بالغة الدلالة حول التلاحم الإيراني الفلسطيني في وجه التهديدات الصهيونية المتصاعدة ضد الفلسطينيين

وانطلاقاً من ذلك يؤكد الملتقى على ما يلي:

١- دعم تمسك الشعب الفلسطيني بكامل حقوقه الوطنية والتاريخية، واعتبار أن هذه الحقوق غير قابلة للتصرف أو المساومة وفي مقدمتها حقه في تقرير المصير والقدس وعودة اللاجئين إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها قسراً عام ١٩٤٨ في وطنهم فلسطين.

٢- التأكيد على دعم حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الصهيوني، باعتباره الخيار الإستراتيجي للأمة من أجل استعادة الحقوق الوطنية الثابتة وإنهاء الاحتلال الصهيوني عن كل الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة في فلسطين والجولان وجنوب لبنان.

٣- إدانة إجراءات وعمليات التهويد والاستيطان الصهيوني في الأراضي المحتلة، وخاصة في مدينة القدس وحولها والاعتداءات والاقتحامات المتواصلة للمسجد الأقصى المبارك، وسياسة مصادرة وهدم المنازل وتهجير الفلسطينيين من القدس في محاولة لتفريغ المدينة من سكانها، والسعي لهدم المسجد الأقصى المبارك.

٤- رفض الإجراءات الصهيونية الرامية إلى تغيير وتزوير المعالم التاريخية والتراثية، ومحاولة سرقة المقدسات الإسلامية والمسيحية، وخاصة القرار الصهيوني المتعلق باعتبار الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم جزءاً من التراث اليهودي. ويطالب الملتقى بمواصلة التحركات والفعاليات الشعبية والرسمية وعلى كافة الأصعدة، لمواجهة هذه السياسة الصهيونية الخطيرة.

٥- إدانة الحصار الظالم المفروض على أهلنا في قطاع غزة، وبناء الجدار الفولاذي، وسياسات عرقلة إعادة اعمار ما دمره العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، الأمر الذي يتطلب من كل قوى أمتنا العربية والإسلامية بالتحرك السريع لإنهاء الحصار وفتح المعابر، ودعوة الدول العربية والإسلامية ودول العالم إلى تحمل مسؤولياتهم التاريخية على هذا الصعيد، بما في ذلك متابعة محاكمة مجرمي الحرب الصهاينة من خلال العمل على المصادقة على تقرير غولدستون وتفعيله في المحكمة الدولية ومجلس الأمن وأية محافل دولية أخرى.

٦- مطالبة السلطة الفلسطينية وقف التنسيق الأمني مع الاحتلال الصهيوني، ووقف برنامج دايتون، ووقف ملاحقة المقاومة واعتقال وتعذيب المجاهدين والمناضلين في

الشيئ. إنها أمور ستبقى في التاريخ وهذا لا يرتبط بعالم الجزاء والآخرة فحسب بل إن الحال في الدنيا كذلك، وكذلك هو الحال في مسألة النصرة التي هيأها الله لكم أنتم المجاهدون فإنها لا ترتبط بالآخرة فقط، هذه الآية التي تليت ورددها الأخ خالد مشعل تقول فيها الملائكة (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ليس في الآخرة فحسب، إن ملائكة الله والقوى الإلهية المعنوية تدعم هذا المسير وتقوي أولئك الذين (قالوا ربنا الله ثم استقاموا). وها نحن نشهد ذلك في الدنيا بأم أعيننا، إن هذه القوى دعمتنا في دفاعنا لثمان سنوات، لقد رأينا دعمها بأعيننا، ولينكر ذلك من غرق في الماديات، لينكر ذلك ولكننا رأيناه، وملائكة الله تدعمنا اليوم أيضاً، إننا صامدون بعون الله، إن قوانا لا يمكن أن تقاس إلى قوى أميركا، ولكننا في نفس الحال أقوى من أميركا، ومع أنها أكثر مالاً وسلاحاً وقدرة إعلامية وإمكانات مالية وسياسية، ولكنها في الوقت نفسه أضعف ونحن أقوى، وأية قوتنا أننا نتقدم في كل الميادين التي تواجه أميركا فيها وهي تتقهقر خطوة بعد أخرى أما نحن فلا معنى لدينا للتراجع بل نخطو نحو الأمام، وذلك ببركة الإسلام والعون الإلهي وبدعم من ملائكة الله، إننا نعتقد بذلك ونقبله ونعيه ونشاهده بأم أعيننا.

إن القدس الشريف -رغم ما قيل من هموم وتخوفات وهي أمور واقعية- سوف يعود إلى يد المسلمين، وأرجو أن يشهد ذلك اليوم الكثير منكم بإرادة الله.

وسواء أكنا أحياء أم لم نكن فإن شعب فلسطين وشعوب العالم ستشهد ذلك اليوم.

أشكركم من جديد وأنا مسرور للقائكم هنا.

إن حديثنا وحديثكم كثير، وإن كلماتنا لم تنته في مثل هذه الدقائق ولكن حان وقت الظهر والصلاة ويجب الذهاب.

أرجوا أن يوفقكم الله ويؤيدكم جميعاً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سجونها في الضفة الغربية.

٧- التأكيد على العمق العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية وترابط وتكامل دور أبناء الأمة العربية والإسلامية في دعم صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته حتى تحقيق كامل أهدافه الوطنية الثابتة.

٨- دعم كافة الجهود لتحقيق المصالحة وانجاز الوحدة الوطنية الفلسطينية على أساس الالتزام بحقوق الشعب الفلسطيني وخياراته الوطنية والتمسك بنهج وخيار المقاومة ودعم الجهود لإعادة بناء وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية وإعادة هيكلية مؤسساتها بما يضمن مشاركة جميع القوى والفصائل الفلسطينية.

٩- التنديد بإرهاب الدولة المنظم الذي يمارسه الكيان الصهيوني ضد قوى المقاومة، واعتبار ما تقوم به «إسرائيل» يمثل عربدة وانتهاكاً واستباحة لسيادة الدول من خلال تنفيذ عمليات اغتيال واستخدام جوازات سفر دولية، وفي هذا المجال طالب الملتقى الدول المعنية ملاحقة قادة العدو الصهيوني ومحاسبتهم على هذه الجرائم.

١٠- التحذير من العودة إلى المفاوضات (مباشرة كانت أم غير مباشرة) التي ثبت فشله خاصة في ظل التعنت الصهيوني، ودعوة الدول العربية والإسلامية لعدم التجاوب مع الضغوط الأميركية التي تهدف إلى إعادة المفاوضات بهدف تصفية الحقوق الوطنية الفلسطينية، والتي لا تخدم إلا الموقف «الإسرائيلي» والأميركي.

١١- التأكيد على ضرورة وأهمية العمل على إفشال أهداف أي حرب أو عدوان قد يلجأ إليه العدو في المرحلة القادمة، واعتبار التهديدات الصهيونية والأميركية ضد فلسطين وسورية ولبنان وإيران تستهدف دول المنطقة جميعها، وتستهدف النيل من طموحات وآمال أمتنا العربية والإسلامية.

١٢- يؤكد الملتقى على شكره وتقديره للدول التي وقفت إلى جانب المقاومة ودعمتها وفي مقدمتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية والجمهورية العربية السورية.

١٣- يؤكد الملتقى شكره وتقديره لوسائل الإعلام المقروءة والمتلفزة والمسموعة على مستوى العالم العربية والإسلامي التي تقف على جانب المقاومة وتدعم القضية الفلسطينية وتعزز ثقافة المقاومة والصمود في الأمة.

طهران - ٢٠١٠/٢/٢٨م

فتح تهنئ موريتانيا على موقفها القومي القاضي بإغلاق السفارة الصهيونية وقطع العلاقات مع العدو.

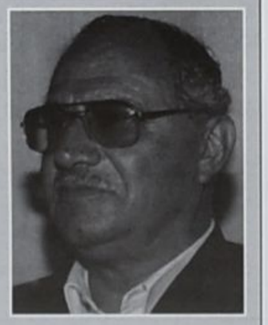

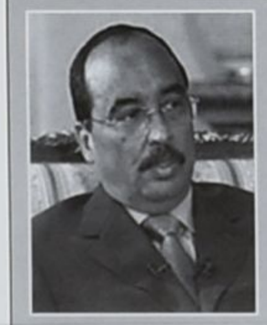

هنأت فتح الشقيقة موريتانيا بالخطوة القومية التي اتخذتها بقطع علاقاتها بالعدو الصهيوني وإغلاق سفارته في نواكشوط، جاء هذا في برقية وجهها الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح/الانتفاضة إلى فخامة الرئيس محمد ولد عبد العزيز رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية هذا نصها:

فخامة السيد الرئيس محمد ولد عبد العزيز حفظه الله

رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرني أن أبعث إلى فخامتكم باسمي شخصياً ونيابةً عن إخواني في اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح – الانتفاضة، بأطيب التحيات الأخوية، مقرونةً بأصدق الأماني لسيادتكم، وللشعب الموريتاني المسلم الشقيق بالمزيد من التقدم والنجاح.

وبمشاعر عميقة من الاعتزاز بمواقفكم، أتقدم من سيادتكم بالتحية، والتهنئة على هذا الموقف القومي الذي يعبر عن عروبة وأصالة الشعب الموريتاني بإغلاق سفارة الكيان الصهيوني في نواكشوط وقطع العلاقات النهائية مع الكيان الغاصب.

إن من شأن هذه المواقف الأصيلة أن تعزز معنويات الشعب الفلسطيني المناضل، وتعمق إيمانه أنه لم يكون وحده في معركة الوجود والمصير والتحرر التي يخوضها في مواجهة الغزاة الصهاينة وإجراءاتهم العدوانية التوسعية الاستيطانية العنصرية على أرض فلسطين، وخير رسالة للعدو الصهيوني وأسياده أن الأمة العربية لن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذا الفطرسة العدوانية، وأمام غول الاستيطان والتهويد الزاحف الذي بات يهدد مصير فلسطين كلها، وما يقوم به من تدنيس ومساس بالمقدسات الإسلامية في فلسطين.

وإننا إذا نقدر لكم هذا الموقف الأصيل، تعبيراً عن رفضكم ومناهضتكم للمشروع الصهيوني وجرائمه، في هذه الظروف الصعبة والدقيقة، وعلى أبواب مؤتمر القمة العربية، لنأمل أن تنحوا الدول والأنظمة التي لا زالت تقيم العلاقات مع العدو الصهيوني وتأخذ الموقف نفسه تعبيراً عن إرادة الأمة الواحدة في مواجهة هذا العدو الغاشم.

تحييكم يا فخامة الرئيس وتهنئ حكومة وشعب الجمهورية الإسلامية الموريتانية على هذا الموقف الأصيل والشجاع.

متمنين لفخامتكم الصحة والتوفيق، وللشعب الموريتاني الشقيق العزة والسؤدد

وثورة حتى النصر.

أخوكم / أبو موسى

أمين سر اللجنة المركزية

لحركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح - الانتفاضة

في ٢٠١٠/٣/٢٥م

Digitized by Birzeit University Library

الغرب وثكنته الصهيونية... ونتنياهو وحفرة عريقات!

عبد اللطيف مهنا

في الآونة الأخيرة حدث تطور غير معزول ولكنه لافت في التصرفات ذات الخصوصية "الإسرائيلية" التي عهدها العالم من تل أبيب، أو اتسم بها مسلكها منذ أن قام الكيان الصهيوني على أنقاض فلسطين، أو كان قرار الغرب الاستعماري باختلاقه. كان المعهود من تصرفاته هو ما كان منسجماً مع طبيعته الاستعمارية الإحلالية، أو قيامه اغتصاباً على حساب الآخر، والذي ما كان ليتم إلا بالتآمر والحديد والنار، ولا يستقيم أو يستمر إلا بمحاولة نفي وجوده المادي والسياسي ومصادرة جغرافيته وتاريخه، وكل ما يتفق مع تغييبه أو سائر المضامين الإبادية بمختلف وجوهها، وهذا ما كان منها فيما يتعلق بفلسطين والفلسطينيين والعرب منذ كانت وكانت النكبة... ونظراً للرعاية الدائمة، والتكفل المستمر، والدعم اللامحدود، والتغطية الكاملة لهذه الجريمة المستمرة التي عنتها منذ قيامه، التي لقيها من قبل صانعيه في الغرب الاستعماري، كان المعهود أيضاً منه أنه ظل يتصرف باعتباره المعصوم من المساءلة والمحاسبة على ارتكاباته، والتي يجوز له ما لا يجوز لغيره، والمفروض كحاله فريدة يظل فوق القوانين والمواثيق والأعراف وحتى القيم والأخلاق الدولية.

أما التطور الذي غشي تصرفاته وغير المنقطع عن مسبباتها فهو تفاقم لوثة عربدة زائدة وغطرسة فجة تعدت حدودها فلم توفر أحداً لا حوله ولا بعيداً عنه، بحيث طالت إلى جانب أعدائه صانعيه وراعييه وداعميه، أو هؤلاء الذين هم سر بقائه هناك في الغرب، أو مختلقه ذاته.

في الآونة الأخيرة بدا الكيان الصهيوني يتصرف كدولة عظمى، وحتى قطب كوني أوحد، وكأنما هو ليس في حاجة لأحد وإنما العالم هو الذي يحتاجه وفي المقدمة منه هذا الغرب، أو عرابه هذا العاق الذي أصبح وكأنما لزاماً عليه ابداء الامتنان لقبوله بما تبتزه منه باعتباره جزية مستحقة عليه دفعها ممتناً له وشاكراً له فضله!

هناك أربعة من الأمثلة الطازجة هي المستجد من بين عديد الأمثلة القديمة الجديدة. مثالان أوروبيان، والثالث أممي، و الرابع الأهم أميركي، في أربعتها ما يوضح بعض ما ذهبنا إليه.

نبدأ من حيث التسلسل الزمني. كل ما تمخض عنه جبل التحقيقات البريطانية، أو مظاهر الغضبة البريطانية على عملية سطو الحليف "الإسرائيلي" على السيادة المصونة لبريطانيا العظمى المتمثلة في سرقة جوازات سفرها واستخدامها تغطية لارتكاب جريمة اغتيال في دولة أخرى، هو طرد ممثل الموساد في السفارة "الإسرائيلية" بلندن، وذلك تجنباً لما هو مفترض وهو طرد السفير نفسه، و هذا يأتي، وفق بيان لوزير الخارجية البريطاني رداً على ما دعاه "سوء استخدام الجوازات" هذه وليس ارتكاب الجريمة ذاتها! ومع هذا، استحقت بريطانيا بلفور التي كانت المسهم الأول في اغتصاب فلسطين واختلاق "إسرائيل"، الرد "الإسرائيلي" عليها شتائماً، واتهامها بالاسامية ومناهضة الصهيونية، ونعت البريطانيين بالكلاب، ووفق النائب في الكنيست أرييه الداد، وجوب الرد "للمنافقين البريطانيين بالعملة نفسها"، مع استدراكه "أنني لا أريد إهانة الكلاب، ولكن خلافاً للبريطانيين فإن الكلاب تظهر وفاءاً حقيقياً"، ويمكن الإشارة إلى أمثلة أخرى في هذا السياق الصهيوني الغاضب على النفاق وقلة الوفاء لدى هؤلاء "الكلاب من اللاساميين ومناهضي الصهيونية" من أحفاد بلفور!

والآن، وإن كان لا زالت للمسألة ذيولاً، فالبريطانيون على أية حال يجتهدون لابتلاع الإهانة "الإسرائيلية"، والموضوع برمته قيد اللف، وها هو ممثل الموساد الجديد، كما يقول الإعلام "الإسرائيلي"، الذي سيحل محل المطرود يحزم حقائبه هذه الأيام للتوجه إلى لندن، أو في النهاية، وكما تقول صحيفة "يدعوت أحرنوت" "الإسرائيلية"، العلاقات مع لندن "لم تتضرر بشكل خطير"... هنا يمكن الإشارة إلى باقي الدول التي غطت جوازات سفرها جريمة دبي. الفرنسيون لا زالوا ينتظرون "تفسيرات"، والاستراليون "استكمال التحقيقات"، والبقية لاذت بالصمت مفضلةً نسيان ما جرى!

المثال الثاني، والقريب من الأول، هو التقاط بعض الهواة لصور طائرتين عسكريتين "إسرائيليتين" تحطان في مطار بودابست ثم تغادرانه، وإيصالهم الصور لصحيفة مجرية معارضة تحدثت عن "طائرات تجسس "إسرائيلية" تنتهك الأجواء المجرية. الخارجية المجرية تطلب تفسيراً من السفارة "الإسرائيلية"، السفارة ترد بأننا طلبنا إذناً مسبقاً من الهيئة الوطنية المجرية للنقل الجوي. تسارع الخارجية التي كانت تستفسر للتصديق على الرواية "الإسرائيلية". لكن وزير الدفاع المجري يعلن عن عدم علم وزارته بالأمر، ثم لا يلبث أن يعود بعد أقل من يومين ليقول إنه كان يعلم! رئاسة الحكومة المجرية التي قالت أن لا علم لها تشكل لجنة تحقيق، واللجنة تخلص إلى العثور على كبش فداء يُحمّل المسؤولية، فيتم طرد رئيس قسم الطيران في الهيئة الوطنية للنقل الجوي، لأنه سمح للطائرتين العسكريتين "الإسرائيليتين" بالتحليق في أجواء البلد دون إبلاغ الاستخبارات المجرية، واتخاذ إجراءات تأديبية بحق أربعة موظفين آخرين... ويلف الموضوع رسمياً أو يكاد، ويزدهر في بودابست بهذه المناسبة الفريدة موسم من السخرية والتندر وإطلاق النكات شعبياً!

المثال الثالث، حين يأتي الأمين العام للأمم المتحدة، بان غي مون إلى فلسطين المحتلة، فلا يجد في استقباله في مطار اللد سوى حراس شخصيين من الشاباك ممن سيرافقونه إبان فترة الزيارة، والتفسير لهذه الإهانة للأمم المتحدة في شخص الضيف هو أنه جاء ليلة سبت... ويغادر بان غي مون مطار

اللد بعد انتهاء زيارته قافلاً إلى من حيث أتى، فلا يودع رسمياً، بزعم أنه يسافر بطائرة تجارية حيث لا يفرش لمثلها سجادة حمراء، كما أن "الإسرائيليين" رسمياً لا يودعون ضيوفهم بعد منتصف الليل... ومع هذا فقد تكرموا عليه في آخر لحظة فارسلوا وزيراً لتوديعه!

المثال الأخير والأهم هو أميركي. كان حين جاء نائب الرئيس الأميركي المفاخر بصهيونيته برغم مسيحيته جو بايدن إلى فلسطين المحتلة، بهدف معلن هو دفع المسعى الأميركي لإطلاق مفاوضات غير مباشر قدماً، حيث الأميركان في حاجة لمثل هذه الملهاة، لتحشيد أصدقائهم في المنطقة ضد "الخطر الإيراني"، وتسهيل عمليتي الخروج من الورطة العراقية والبهدلة الأفغانية، والحفاظ على المصالح الأميركية المهددة في المنطقة، وكاستجابة لسؤال بدأ يطرحه بعض جنرالات البنتاغون همساً، يعبر عن نوع من الشكوى، وهو ما إذا كان الدور الوظيفي للكيان الصهيوني لا زال كما كان، أم أنه قد بدأ مردوده العكسي، يسيء إلى المصالح الإمبراطورية الأميركية، لا سيما والحال هو الحال في العراق وأفغانستان؟!

استُقبل بايدن بإهانة هو لم يعدها كذلك، وهي الإعلان عن دفعة "استيطانية" جديدة في القدس. كثر الحديث عن الحرج الأميركي المفترض، وحتى عن الغضب المزعوم. حاول الأميركان جهدهم التخفيف من المسألة... وفي أجواء لغط كبير حولها في الإعلام العربي، وتفاؤل عربي وفلسطيني أوسلوي وصل حد أن يصف صائب عريقات الحكاية بالقول إن "إسرائيل" قد "وضعت نفسها في حفرة الاستيطان"، يأتي سفر نتنياهو إلى واشنطن، والذي يفسره البعض بأنه تلمس لإخراجها من حفرة عريقات! وحيث سيحل ضيفاً على البيت الأبيض، ترك خلفه ملصقاً

معلقاً في شوارع القدس المحتلة تظهر فيه صورة الرئيس الأميركي باراك أوباما وتحته كتب "عميل منظمة التحرير الفلسطينية في البيت الأبيض"! وما إن يصل إلى هناك، يطنب مستقبلوه في استرضائه. تصريحات لكلنتون وأوباما وسواهما... كان استقبالاً تلخصه رئيسة الأغلبية في مجلس النواب الأمريكي السيدة بيلوسي بقولها: "نحن في الكونغرس نتحدث بلسان واحد إذا كان الوضع يتعلق بإسرائيل"... أكثر من نصف هذا الكونغرس كان حاضراً في افتتاح مؤتمر إيباك الذي تحدث فيه نتنياهو حديث الفاتح على مسمع من صفقوا له وقوفاً لمرات... "القدس ليست مستوطنة، والبناء فيها مثل البناء في تل أبيب. وهو بناء قد بدأ قبل ثلاثة آلاف عام"... قبل لقاء نتنياهو بأوباما في البيت الأبيض، ذكّره نير بركات رئيس بلدية القدس المحتلة بأن الولايات المتحدة صديقة "لإسرائيل" لكن "الاستيطان" في القدس أكثر أهمية... وطالبه ليبرمان بعدم الاستجابة لمطالب أوباما ومغادرة واشنطن... وحيث هو يجتمع بأوباما تم الإعلان عن مخطط "استيطاني" جديد في حي الشيخ جراح في القدس... وكل ما نما عن لقائهما البعيد عن الإعلام هو أن أوباما طالب ضيفه بخطوات بناء ثقة... ومع هذا، كان هناك فعلاً بعض استياء أميركي، ويمكن القول إنه نوع من تنازع أميركي "إسرائيلي" حول روى تكتيكية، هو أقل من خلافات قد تؤثر على الرؤية الاستراتيجية الواحدة ولا تصل إلى مستواها... وعاد نتنياهو من هناك سالماً غانماً خارجاً دون عناء من حفرة عريقات، وكان له من رحلته كل ما أراد... وزيادة على الحساب عاد وفي جيبه صفقة طائرات F٣٥ الأكثر تطوراً. وما إن وطئت قدماه الأرض المحتلة، حتى تم الإعلان عن مشروع تهويدي جديد في القدس تحت مسمى "حدائق الملك"، فإعلان مدير "مجلس المستوطنات" عن مخططات لمضاعفة "الاستيطان" في الضفة المحتلة ثلاث مرات يوصل عدد المستعمرين فيها إلى المليون!

وعود على بدء، وبناءً على ما تقدم، ما معنى هذا التطور المستجد في معتاد التصرف "الإسرائيلي"؟

إن مرده أمران: تزايد تصهين غربي تليد، واستمرار حرص معروف من قبل الغرب على الدور الوظيفي لربيبته ومدللته وثكنته المتقدمة، دفعها إلى حالة ملتاثة بالغطرسة وجنون العظمة جعلتها لا تحتمل من هذا الغرب حتى مجرد عَتب إذا ما أضرت أساليب سياستها لا جوهرها بمصالحه، ولدرجة بدا وكأنما هذه الملتاثة هي سيدة العالم ومعصومته، وحتى قطبه الأوحد، وليست صنيعة هذا الغرب، بل تتصرف وكأنما هي صانعته!

الثاني: أنه إنما تعبير عن أزمة حقيقية وهشاشة تلازم طبيعة مفتعلة وما يؤشر ضعف لا قوة مهما عظمت، ويدلل على مبعث قلق غيتاوي على وجود مرفوض، وبالتالي ينبئ عن عدم ثقة في المستقبل... قرابة القرن، اعتاد "الإسرائيليون" على أنهم فوق القوانين والمواثيق والأعراف والقيم الإنسانية ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم، و في موقع فيه كل أسباب القوة الغربية متاحة لهم، وحيث كل العالم بدا وكأنما هو متواطئ معهم. هوّدوا فلسطين كاملة أو كادوا وشردوا من شردوا من شعبها، ومع ذلك يصطدمون بحقيقة ترعبهم، لازال الفلسطينيون باقين على خارطة جغرافيتهم متمسكين بها، صامدين ومقاومين يستلهمون تاريخهم ويتشبثون بترابهم وقرارهم العودة إلى وطنهم... بدأت إرهاصات الردع العربي المقاوم، وسقط التهافت التسووي المشين تحت عجلات جرافات الاحتلال، ووصل توسع المشروع الصهيوني والقوة "الإسرائيلية" حدودها واصطدما بها، وبدأ العالم بما فيه الغرب المتصهين يتململ من صفاقة صنيعته التي تتصرف وكأنما هي صانعته، وحيث تضر أساليبها بمصالحه بدأت بتصرفاتها تشكل عبئاً عليه... ترى أين من هذا كله ستكون قرارات قمة العرب، التي يطلقون عليها قمة القدس، المنعقدة الآن في سرت الليبية التي تكنى مدينة الرباط الأول؟ سؤال لا يحسد المؤتمرون على سماعه، ولن يطول انتظارنا لجوابه!

Digitized by Birzeit University Library

القدس مدينة السلام تقاوم كنس الخراب

الأضاليل والخرافات الصهيونية زبد في بحر التاريخ والحقيقة

مأمون كيوان

تنفيذا لنوية هذيان أصابت أحد الحاخامات، المعروف باسم جاوون فيلنا، عمرها -النوية- ثلاثة قرون تقول إن إعادة بناء الهيكل المزعوم ستبدأ في السادس عشر من مارس عام٢٠١٠ انطلاقا من كنيس هاحوربا(الخراب)، افتتح مؤخرا كنيس «هاحوربا» بمشاركة آلاف المستوطنين الذين ينتمون للمنظمات المتطرفة مثل(أنصار الهيكل) و(الحركة لبناء الهيكل) و(معهد الهيكل) و(حاي وكيام) و(نساء من أجل الهيكل) و(حراس الهيكل) إضافة إلى مسؤولين دينيين وسياسيين.

وساهم الزعيم الروحي لحركة شاس الحاخام عوفاديا يوسيف في عظته الدينية في تفسير السياسة التي ينبغي أن تدأب عليها حكومة اليمين. وقال،، في القدس لا يسكن سوى «شعب إسرائيل» والسور يكرس قداسة المكان. ولا يسكن في المكان سوى اليهود. وكل الأغيار جميعا، سيأتي المسيح ويحرقهم كلهم، هكذا دفعة واحدة ويلعن أباهم». يذكر أن وزير الداخلية إيلي يشاي وبقية وزراء حركة شاس يتبعون تعاليم وتوجيهات عوفاديا يوسيف.

و لقد أقيم كنيس الخراب في حارة الشرف الإسلامية في مدينة القدس الشرقية والتي يسميها حاليا الصهاينة «حارة اليهود».

وبني الكنيس ليصبح أعلى وأبرز مبنى في القدس القديمة حيث يقع بجانب المسجد العمري الكبير. ويتألف من أربعة طوابق ويتميز هذا الكنيس بشكله الضخم وقبته المرتفعة جدا التي تقارب ارتفاع كنيسة القيامة وتغطي على قبة المصلى القبلي داخل المسجد الأقصى.

ولوحظ أن هناك رسومات كبيرة لعدة معالم إسلامية داخل قبة كنيس الخراب، ومن بين هذه المعالم المسجد الإبراهيمي في الخليل، ومسجد بلال بن رباح، لكن المؤسسة الصهيونية تعمّدت رسم هذه المعالم على أنها معالم يهودية تحت مسمى « قبة راحيل »، و«مغارة همخبلاة ». – الأسماء التهويدية للمعالم الإسلامية .

وهناك مزاعم صهيونية تعتبر أن اليوم التالي لافتتاح كنيس الخراب سيكون هو يوم الإعلان عن البدء ببناء الهيكل الثالث المزعوم على حساب المسجد الأقصى .

تاريخ الكنيس

يعود تاريخ الكنيس إلى القرن الثامن عشر الميلادي، حيث قامت مجموعة من اليهود بدفع رشوة لبعض عمال الدولة العثمانية، حتى يقوموا لبناء «معبد حوربا» في مكان يدّعون أنه كان مقاماً فيه معبد يهودي قديم. وفي عام ١٧٢١ تم هدمه من قبل العثمانيين نتيجة عدم دفع الضرائب والرسوم المفروضة على المبنى، ولذلك سمي بكنيس الخراب نسبة للخرابة التي أحدثها هدم المعبد، وبقي مهدوماً حتى عام ١٨٠٨، حيث جاء إلى القدس مجموعات يهودية حاولت بناء الكنيس من جديد، إلا أنهم فشلوا في ذلك لمنع السلطات العثمانية عملية البناء، لأن المنطقة يسكنها عرب ومسلمون.

وفي عام ١٨٣٤ وقع زلزال شديد، انتهز اليهود الفرصة وحالة الاستعطاف العام وبدأوا يجمع التبرعات، وفي عام ١٨٥٧ شرعوا في بنائه.

وفي عام ١٨٦٤ اكتمل بناء الكنيس، حيث استمر البناء ببطء طوال ثماني سنوات، وظل الكنيس على حاله حتى عام ١٩٤٨، عندما حاصر الجيش الأردني مجموعة من العصابات الصهيونية «الهاغاناه»، وطلب منهم إخلاءه، ثم جرى هدمه في اليوم التالي، حتى لا يظل ذريعة لعصابات الهاغاناه بالتمركز فيه، واعتباره معسكراً بدلاً من دار عبادة.

وبعد احتلال القدس عام ١٩٦٧ بدأت المطالبة بإعادة بناء الكنيس من جديد، إلا أن حاخامات الدولة اكتفوا ببناء قوس تذكاري لهذا الكنيس، لأنه لا يشكل معلماً هاماً، وظل الحال على هذا حتى بدأت خطط التهويد للقدس تأخذ طابع الإسراع. وفي عام ٢٠٠١ أقرت الحكومة الصهيونية بناء هذا الكنيس بتمويل تساهم فيه المؤسسات اليهودية ومتبرعوها الأثرياء.

وفي عام ٢٠٠٣ انطلق المشروع التهويدي برسم المخطط الشامل للكنيس، وفي عام ٢٠٠٦ بدأ فعلياً بناء الكنيس، ليستمر هذا المشوار خلال السنوات الأربع الماضية بتكلفة بناء وصلت إلى نحو ٤٥ مليون شاقل (نحو أكثر من عشرة ملايين دولار أميركي).

يثوب الرواية الصهيونية لوجود الكنيس، تساؤلات ومغالطات كثير ، كما أن مكان هذا البناء «هو عبارة عن جزء من وقف إسلامي، وجزء آخر منه مكان لبيوت تعود لعائلات مقدسية هدمت بيوتها بعد احتلال الحي عام ١٩٦٧.

وفي هذا السياق، أكدت عائلة البشيتي المقدسية أنّ لديها أوراقا ثبوتية بملكية موقع «كنيس الخراب». وقال بيان باسم ديوان آل البشيتي: إنّ هذا الكنيس أقيم على أنقاض

عقارات وأوقاف تعود للعائلة، و لدى العائلة كافة الأوراق الثبوتية والحجج التي تُثبت ملكيتها لهذا العقار، إضافةً إلى ملكية العائلة لعقارات عديدة في محلة الشرف.

وبينت عائلة البشيتي أنّه «تمت مصادرة هذه الأوقاف العام ١٩٦٧ على أيدي الاحتلال، وقد أعلن في وقته أنّ هذه المصادرة قد حصلت لما تتطلبه استخدامات المصلحة العامة، ولم تستخدم هذه العقارات المصادرة وفق ادعاءات حكومة الاحتلال وقتئذ القاضي باستخدامها للمصلحة العامة».

مخططات قيد التنفيذ

جاء الإعلان عن افتتاح كنيس حوربا في وقت تستعد فيه الحكومة الصهيونية لإقامة ٦٢ كنيسا يهوديا في محيط المسجد الأقصى و٣٠ مدرسة دينية وتبعد إحدى الكنس عن المسجد الأقصى ١٦ مترا فقط حيث تقام فيها الصلاة ويقع معظمها في الجهة الغربية من المسجد الأقصى.

وكانت سلطات الاحتلال قد قامت خلال السنوات الأخيرة ببناء كنس عدة لتحل مكان الأوقاف الإسلامية بجوار المسجد الأقصى، من بينها كنيس أقيم على وقف حمام العين الذي يعود لزمن المماليك، وكنيس المدرسة التنكزية، وهي بناء وقفي يعود لعهد المماليك، وكنيس آخر أقيم على وقف الكرد ويسمى كنيس «المبكى الصغير» ويقع في جزء منه الجدار الغربي للمسجد الأقصى، إضافة إلى مسجد النبي داود الذي تحول إلى كنيس باسم «قبر داود»، ويقع في المنطقة الجنوبية الغربية لسور البلدة القديمة.

وتعمّدت سلطات الاحتلال أيضا رسم هذه المعالم الإسلامية بالضبط فوق ما يسمونه «خزانة التوراة »، وللربط بين هذه المواقع دلالات تهويدية واضحة.

كما أقيمت تسعة «متنزهات توراتية» حول المدينة القديمة، في خطة «مستوحاة من أيديولوجية اليمين المتطرف»، لفرض الهيمنة الكاملة على المدينة.

وقال مؤسس المنظمة المحامي دانيال سايبدمان إنّ «الهدف من هذه الخطة هو إنشاء تسعة متنزهات توراتية بالتنسيق مع مجموعات قومية متطرفة للمستوطنين، وذلك للتركيز حصراً على الماضي اليهودي للقدس، و تنص هذه الخطة على هدم منازل فلسطينية».

وعهد بإنشاء هذه المتنزهات، التي ستتضمن مسالك للسياح والزوار، إلى «هيئة تطوير القدس» الحكومية، التي أوضحت، في وثيقة رفعتها إلى الحكومة أن الهدف من المشروع هو «ترسيخ موقع القدس عاصمة للكيان الصهيوني».

وهناك خرائط تتحدث أيضا عن إقامة جسر يربط بين ساحة المغاربة والمسجد الأقصى، ووفقاً لهذه المخططات فان الحديث يدور عن جسر عسكري لمرور القوات والياتها لاقتحام المسجد الأقصى، على أن يكون الجسر بعرض ١٨ متراً وذلك على أنقاض الآثار الإسلامية التي تمتد إلى عهود قديمة.

ويتضح من إحدى الخرائط أن هناك مخططاً تدميريا يهدف لإزالة الآثار الإسلامية، وبناء كنس يهودية وستكون مساحة هذا المخطط حوالي ١٥٩٥ متراً مربعاً في ساحة المغاربة، كما وتتحدث الخرائط عن مشاريع تدميرية في الجهة الشرقية للمسجد الأقصى.

وقامت المؤسسة الصهيونية بوضع أتربة على قبور الصحابة في الجهة الشرقية للمسجد الأقصى، «بهدف تحويل المنطقة إلى حديقة على حساب هذه المقبرة القديمة التي تعود إلى فترة الصحابة كما ويستهدف المخطط امتداد الجهة الغربية للمسجد الأقصى.

وسيتم حفر الآثار العربية والإسلامية وتسويتها بمستوى الأرض، بهدف توسيع المساحة المخصصة لصلاة النساء اليهوديات في ساحة البراق أو الهيكل كما يقول الصهاينة زورا وبهتانا، كما و سيتم تحويل الفراغات تحت الجسر المزمع بناؤه، وهي أبنية أثرية إسلامية وعربية، سيتم تحويلها إلى قاعات للصلاة لليهود أي كنس يهودية بكل ما للكلمة من معنى، ويمكن النظر إلى الأماكن والمواقع الإسلامية التي حولت إلى كنس يهودية جنوب حائط البراق، تحت بناية المحكمة الشرعية وغيرها من المواقع.

وفي «حارة النصارى»، يقام أيضا كنس يهودية، وهناك مقدسات تاريخية قديمة جدا لم تسلم من جرائمهم، كتحويل مسجد القلعة إلى كنيس يهودي»، و على بعد أمتار من حائط البراق تم إعداد ووضع ما يسمونه بشمعدان الهيكل في مخطط للقلة بالقوة العسكرية إلى الهيكل الأسطوري الموعود بناؤه في مخططات المؤسسة الصهيونية، أما في جنوب المسجد الأقصى فقد افتتح باراك عندما كان رئيسا للحكومة الصهيونية ممرج يوصل إلى الباب الثلاثي المغلق – احد أبواب المسجد الأقصى – ، كما تم افتتاح ممر آخر يوصل إلى الباب المزدوج المغلق – وهو احد أبواب المسجد الأقصى – وهذه الممرجات هي عبارة عن خطوة من خطوات تنفيذ مخطط « قيديم يروشالايم – القدس أولا » لتهويد محيط المسجد الأقصى، حيث يخطط لافتتاح هذه الأبواب المغلقة لتحويل المصلى المرواني والمسجد الأقصى القديم إلى كنس يهودية، كما ويقام شرق المسجد الأقصى وشماله عدد من الكنس اليهودية في منطقة رأس العامود وجبل الطور وحي الشيخ جراح.

كما يتم الحديث عن مخطط لإقامة نفق أرضي وقطار ارضي يصل إلى ساحة البراق وتحت بيوت القدس القديمة.

وفي مواجهة افتتاح كنيس الخراب الذي يمثل عملا تهويديا خطيرا شهدت أحياء الطور ورأس العمود ومخيم شعفاط والعيسوية في القدس المحتلة مواجهات بين المقدسيين وقوات الاحتلال. ورافقتها أعمال مقاومة في سائر أنحاء فلسطين، ومسيرات غضب وبيانات إدانة عربية وإسلامية ودولية أن لها أن تتحول إلى أفعال عملية ضد كيان لا تتوقف انتهاكاته وعنصريته وعدوانه عند حد.

Digitized by Birzeit University Library

٢١ آذار ١٩٦٨ : معركة الكرامة الخالدة... لحظة تاريخية فارقة.

أحمد هلال

ثمة لحظة تاريخية، تكاد تكون نسيج وحدها، بل تكاد أن تتعدى بدلالتها المفتوحة، تاريخاً بعينه.. هل تتسع للتأويل وللقراءة المعاصرة.. بلى وكيف إذا كانت تسبح في فلك الكرامة، كلمة السر لشعب يقاوم، ولأمة حاضرة. إذ تتعدى معاني الكرامة، بدءاً من تلك المعركة الضارية، المعركة-العلامة-في تحولات تاريخية في مسار الصراع مع الغزوة الصهيونية، مخيم الكرامة، لم يكن نهاره عادياً ذلك التاريخ في الحادي والعشرين من آذار عام ١٩٦٨، وهو يصحو على هجوم كبير، حيث بلغ قوام الغزوة الصهيونية المهاجمة ١٥ ألف جندي على جبهة طولها حوالي ٥٠ كيلومتراً بين منطقة جسر الأمير محمد وجسر الملك حسين شمالاً، ومنطقة الشونة جنوباً، واستخدمت في ذلك الهجوم مختلف الأسلحة والمدرعات والطائرات ورجال المظلات.

واستمر العدوان خمس عشرة ساعة، كانت المفاجأة في استعداد من صدوا الهجوم، ليلقنوا العدو الصهيوني درساً بليغاً في المقاومة والصمود، كان الفدائيون قد خرجوا من كل فجّ عميق، فقد أطلق الفجر تكبيرة للقتال وصلى الرماة.. هبت قرية الكرامة لتقذف في وجه الغزاة حمم غضبها، خرج الثوار من دم العاصفة ليغيّروا كل تاريخ أيام زائفة، فلا شيء أقوى من إرادة تتحدى لتقيم توازن الرعب مع المعتدين، وارتفعت شمس ذلك النهار واضحة، لتنبئ بأن ثمة ملحمة كتبت هناك، كتبها المقاومون ومعهم أبطال شرفاء من الجيش الأردني، كتبها استشهاديون دمروا آليات العدو ودباباته، وقرروا حسم النتيجة لمصلحة الحق، قوة الحق كسرت حق القوة وأن نكسة ١٩٦٧ لم تعطل التاريخ، لينهض بحمولات التضحية، ليعلن انبعاثه مجيداً في واحدة من جمرات النزال، في صورة نصر طليق وممكن، يترجم ثقة العربي بنفسه هكذا انطلقت الثورة الفلسطينية، انطلاقة جديدة، في لحظة إضافية فارقة انتزع فيها النصر، ليعلن زمنهم جسارته، زمن مناضلي فتح وإخوتهم المناضلين، الذي أسفر عن لحظة فلسطينية وعربية، لن يطيل الورد بعدها النوم على فوهات البنادق، لقد برأ جرح النكسة، إذ تدفق الشباب العربي للانخراط في صفوف الثورة الفلسطينية، ليشاركوا في انطلاقة فتح المتجددة، استعداداً لفصل جديد في حكاية الكرامة لقد حظيت المقاومة بتأييد كبير، حمل وزير الحرب الصهيوني آنذاك موشي دايان على القول: «إن معركة الكرامة كانت ضرورية، لأنه ليس من سبيل سوى الرد، إذا كانت إسرائيل، تريد الحفاظ على المواقع السياسية والعسكرية التي حققتها في حرب حزيران».

تلك النتائج المؤسسة لمفهوم الحرب الشعبية والكفاح المسلح سبيلاً وحيداً لتحرير الأجزاء المغتصبة، كانت ضرورة لأفعال المقاومة التي تكرست في مدرسة الكرامة كانت بوصلة، ورمحاً لاستعادة فلسطين، نذهب في تأصيل ذاكرتنا المقاومة، لنتتبع حلقات التاريخ، كيف تتواصل، وفي كل مفصل تفيض الدروس والمآثر البليغة، تحيل إذن على زمن وسياق لا يكف عن تلاوة أساطير المقاومة وملاحمها، المعاصرة يستأنف نشيد الكرامة، ذلك النهار، حينما خرج الصمت عن صمته، ليدشن عصراً جديداً، مشتعلاً يوم الشهداء، هكذا يكتب الشعر بل يحلو له أن ينشد: «ويلوحون بإصبعين إشارة بالمختصر، فيها حروف النار تكتب كل سطر بالشرر، هم يحرقون مرارة الأيام كي تلد الثمر... اليوم نسمعهم فداء مثل آذان السحر... واليوم هم تاريخنا الآتي على شفة الحجر».

الكرامة ليست مجرد معركة... إنها مجاز شعب وأمة كلما أظلم دهرهما تحسسا مواضع الشرر إنها ذهاب مستمر إلى الغد... إنها صورتنا الأبهى، ونحن في برهتنا نطل على ما نريد من المعنى الرحيب، إنها الذاكرة تقاوم مذ جيء ببشارة الكرامة، الأبلغ: النصر أو النصر.. ولا شيء أقل..

٣٠ آذار يوم الأرض عهد ووعد

أ.هـ

حكاية تتجدد لتعيد تاريخ ما نسيه التاريخ، لتعيد للذاكرة يوم هبّ شعبنا الفلسطيني في آذار الخصب والدم في الجليل والمثلث، في قرى عرابة، دير حنا، سخنين في القرى الطيبة، أم الفحم،الطلابية، وطوانا، ليعلن رفضه قرار الحكومة الصهيونية في جلستها يوم ٢٩-٣-١٩٧٦ مصادرة ٢٠ ألف دونم من أراضي الجليل، لترسيخ سياسة الاستيطان واستنبات السكان اليهود فيها، بل إن تهويد الجليل هو من وقف وراء السعي الصهيوني للاستيلاء على الأراضي بالقوة، وذلك ما حمل ممثلي المجلس المحلية العربية لأن يعقدوا اجتماعهم في مدينة الناصرة، للتصدي لقرار مصادرة الأراضي العربية وليعلنوا أن الثلاثين من آذار هو يوم الأرض الفلسطينية.

والقيام بإضراب عام وتظاهرات لإلغاء مصادرة الأراضي وإرسال وفد إلى الأمم المتحدة، يبقى هناك حتى تتراجع حكومة الكيان الصهيوني عن قرارها. تلك هي الرواية الرسمية لإرهاصات المواجهة الكبرى، مواجهة أهلنا للصهاينة في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، المواجهة المفتوحة التي عبد بها شهداء الأرض الطريق كخط دفاع أول عنها، وكترجمة لوحدة الأرض ووحدة الشعب إنها فلسطين التاريخية في حقيقة مواجهتها للغزوة الصهيونية الاحلالية التوسعية، في معجزة بقائها وشواهد قيامته، يوم الأرض يتوالد أياماً مستمرة تتعلق بساحات الأقصى وحواريه، شرارة انتفاضة جديدة، إذ ثمة شعب يتكاثر، يولد أبناؤه في صباحات جديد، فلسطين عربية، لم يكن مجرد هتاف أو شعار، إنه الحقيقة التي تتجدد، على الأرض مساحة الصراع، ومبتدأة، ولعلها تختزل في وعينا الجمعي كل أبعاد تلك الصورة، إذا إن فلسطين تنهض ببشرها وجحرها دفاعاً عن الأقصى ومحاولات تهويده، ومن جديد تتواتر الوقائع الفلسطينية، في خط الدفاع عن الأرض وترابها، الأرض التي توجد، تلك هي حبوب السنبلة التي ملأت الوادي سنابل، التي تقارع الاستيطان والاحتلال، لقد وئد الحلم الصهيوني بأن يغادر الفلسطينيون حلبة التاريخ، بل إنهم التاريخ الذي يكتب زمنه ووقائعه الحلم الذي يقضي بطرد السكان الأصليين، وأن يتحول اليهود الى أغلبية، بل سعيه الى الحيلولة دون تأكيد السكان الأصليين لوجودهم وحقوقهم ها هو (أحاد هاعام) أحد أهم الكتاب الصهاينة يعترف: «إذا تطور وجودنا... الى حديد يدفعهم (الفلسطينيين) الى الخارج قليلاً أو كثيراً فلن يسمحوا لنا بالسيطرة على مكانهم دون قتال».

ألم يكتب الإرهابي بن غوريون عام ١٩١٧ أن «تحقيق الصهيونية على جدول الأعمال في الوقت الحاضر .. التاريخ لا ينتظر، فلسطين غير اليهودية انتظرت ١٨٠٠ عام خلال العقدين القادمين علينا خلق أغلبية يهودية في أرض(إسرائيل) فهذا جوهر الوضع التاريخي الجديد، ولن يمر ذلك الحلم الصهيوني بدون ثمن لقد واجه وعياً مضاداً آمن بأن الأرض لأهلها المتغرسين في ترابها وصخورها، هم هويتها المنافحة ضد ما يتهددها وينتقص منها، إنها دروس يوم الأرض التي تعيدنا إلى أبجدية الصراع، كما سياقه المديد، وأن المقاومة توحد، في كل دورة من دورات التاريخ، تعلو لتقتحم الشهود، المشهد أمام عدسة التاريخ على اتساعها ودقتها..

فتح تشجب قرار لجنة المتابعة العربية وتعده انصياعاً للمطالب الأميركية وتغطية سافرة لنهج التفريط الأوسلوي

في تعقيب لها على قرار لجنة المتابعة لما تدعى مبادرة السلام العربية بإعطاء الضوء الأخضر لجماعة رام الله للتفاوض غير المباشر مع العدو، أصدرت اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح/الانتفاضة بياناً رفضت فيه القرار واستنكرته باعتباره انصياعاً للمطالب الأميركية الداعمة للكيان الصهيوني، وتغطية سافرة لنهج مساوماتي تفريطي ألحق الأذى الفادح بعدالة قضية العرب المركزية في فلسطين، وحذرت من آثار هذا القرار السلبية الخطيرة، وقال البيان، إن هذا القرار قد منح العدو فرصة ثمينة لاستكمال مخططاته التهويدية والاستيطانية، ومواصلة طمس ومحو الهوية العربية والإسلامية عن مدينة القدس. والمزيد من الحفريات أسفل المسجد الأقصى لهدمه وبناء هيكلهم المزعوم، وضم ما تبقى من مقدسات إسلامية لتراثهم الذي ليس له أدنى مصداقية أو أسانيد تاريخية.

وفي ختام بيانها حيت اللجنة المركزية «الموقف القومي السوري الشجاع الذي عبر عنه السيد وزير خارجية الجمهورية العربية السورية، وكشف فيه أن مثل هذا القرار لا يحظى بالإجماع، وتطالب الدول العربية المتورطة في مثل هذا القرار إعادة النظر بموقفهم، ورفض تغطية مشاريع تصفية قضية فلسطين الهدف المركزي للمفاوضات مع العدو الصهيوني».

كما عاهدت اللجنة المركزية لحركة فتح شعبنا المكافح وأمتنا المجيدة «على مواصلة نهج المقاومة، نهج الصمود والتمسك بالثوابت الوطنية وبالحقوق الوطنية التاريخية لشعبنا العربية الفلسطيني في كامل أرضه فلسطين».

Digitized by Birzeit University Library

أميركا والكيان الصهيوني: «أزمة» حقيقية أم وهمية؟؟

محمدرشاد الشريف

الضجة التي أثيرت حول التوتر الذي جرى في العلاقات الأميركية الصهيونية، خلال زيارة نائب الرئيس الأميركي جو بايدن إلى الأرض الفلسطينية المحتلة، وحديث بعض الأطراف الفلسطينية عن استثمار هذه الأزمة، يعيد طرح السؤال حول طبيعة العلاقات بين واشنطن والكيان الصهيوني، والأزمات العارضة التي تنتابها أحياناً، ومدى حقيقتها وتأثيرها على موقف الولايات المتحدة من الصراع العربي الصهيوني ...؟؟.

خلاف على الأسلوب

جاءت «الأزمة» الأخيرة، نتاج الصلف والعنجهية التي تتعامل بها حكومة نتنياهو مع موضوع الاستيطان، والتي ترمي إلى وضع العالم أمام حقائق منتهية في هذا المجال. حيث اعتبرت الإدارة الأميركية، الإعلان عن بناء ١٦٠٠ وحدة استيطانية في رامات شيلو شمال القدس، خلال زيارة نائب الرئيس الأميركي جو بايدن إلى الكيان الصهيوني وإلى السلطة في رام الله، من أجل إعطاء دفع لعملية التسوية وبدء المفاوضات غير المباشرة بين الطرفين، إهانة لنائب الرئيس واستخفافاً بالإدارة الأميركية، التي تطالب بوقف موقت للاستيطان، مسايرة للدول العربية «المعتدلة»، كي تتمكن من حشدها في الحلف الذي تعمل على تشكيله ضد إيران وقوى المقاومة في المنطقة العربية والإسلامية.

وتوالت ردود فعل الإدارة الأميركية التظاهرية بعد ذلك، من إدانة بايدن نائب الرئيس لقرار بناء تلك الوحدات الاستيطانية، في المؤتمر الصحفي الذي عقده مع محمود عباس في رام الله، إلى ما زعم عن «توبيخ» وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلنتون لرئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو في مكالمة استمرت ٤٣ دقيقة، وإنها اشترطت عليه إلغاء ذلك القرار كلياً وليس تجميده، وأن تقوم «إسرائيل» بمبادرة إيجابية تجاه السلطة الفلسطينية، كإطلاق عدد من الأسرى، أو تمديد فترة تجميد الاستيطان، وأن تعنى «محادثات التقارب» ببحث القضايا الأساسية، الحدود واللاجئين والقدس وليس القضايا الفنية كما تطرح «إسرائيل»..إلى استدعاء السفير الصهيوني في واشنطن إلى وزارة الخارجية الأميركية لتوبيخه، وقد قال إن العلاقات في أسوأ وضع منذ عام ١٩٧٥. وقد تبع هذا الموقف الأميركي إدانات للاستيطان الصهيوني من الاتحاد الأوروبي واللجنة الرباعية التي اجتمعت في موسكو في ٢٠١٠/٣/١٨، وطالبت «بتجميد الاستيطان، وإزالة الحواجز، والامتناع عن هدم المنازل وأشكال الاستفزاز، وتهيئة الظروف من قبل الفلسطينيين و«الإسرائيليين»، لاستئناف المفاوضات.!!، للتوصل إلى حل الدولتين وإقامة الدولة الفلسطينية إلى جانب «إسرائيل» خلال سنتين....».

وعلى الرغم من تأكيد القادة الصهاينة وفي مقدمتهم نتنياهو وبيرس وليبرمان على الاستمرار في البناء الاستيطاني في القدس، وقول ليبرمان «إن موقف الرباعية يجعل الفرص تتضاءل أمام السلام»، واتهام بعض الصهاينة للرئيس أوباما بـ«اللا سامية»، فإن الأميركيين وكما هي عادتهم في كل مرة، أخذوا في التراجع، والغزل رقيقاً للصهاينة، حيث نفوا أن هناك أزمة في العلاقات، وقال الرئيس أوباما : «إن لدينا رابطاً خاصاً «بشعب إسرائيل»، لن يزول»، وقالت وزيرة خارجيته في اجتماع الرباعية في موسكو، «علاقات الولايات المتحدة بـ«إسرائيل» علاقات عميقة ومتينة ودائمة».

وهذه الأقوال لأقطاب الإدارة الأميركية، تصب ماءً بارداً على آمال أنصار التسوية الفلسطينيين والعرب، المتعلقين بأذيال الولايات المتحدة، ولا يرون غير المفاوضات طريقاً للتعامل مع العدو الصهيوني»، وهم الذين أخذوا يشيعون أن ما حصل ثمرة جهدهم وإعطائهم الفرصة للسلام، وهو ما كشف حقيقة موقف الصهاينة، وجعل الأميركيين يقفون هذا الموقف، الذي لا بد أن يتحول إلى ضغط على الصهاينة، لوقف الاستيطان والسير في عملية السلام وأن قول الولايات المتحدة «أن قيام الدولة الفلسطينية مصلحة أميركية أنه يجب المراكمة على هذا المكتسب...!!».

مصالح إستراتيجية لا تتأثر بالأزمات

وهذا الذي حصل في العلاقات الأميركية الصهيونية والذي لم يكن أكثر من زوبعة في فنجان، أو سحابة صيف كما يقولون، يعيد إلى الأذهان العديد من الزوابع التي تعرضت لها هذه العلاقات في تاريخها ولم تؤثر في رسوخ هذه العلاقات وتطورها، ويعيد السؤال حول هذا النمط الخاص من العلاقات،

وخطأ الرهان على إحداث تغيير فيها، ليس فقط لتقف موقفاً إلى جانب الحق العرب والفلسطيني، بل لتأخذ موقفاً محايداً ونزيهاً من قضايا الصراع العربي الصهيوني.

ففي السابق حدث خلاف في عام ١٩٥٦ بين الطرفين الأميركي والصهيوني أيام الرئيس الأميركي دوايت إيزنهاور، حول الانسحاب من سيناء وكانت الولايات المتحدة تتطلع، إلى الحلول محل النفوذ البريطاني والفرنسي ومواجهة تقدم النفوذ السوفييتي في المنطقة، وأن ذلك يقتضي انسحاب الكيان الصهيوني من سيناء، وأن هذا في مصلحة الطرفين؛ مصلحتها ومصلحة «إسرائيل» في نهاية المطاف.

وحدثت خلافات في مرات أخرى، كالذي حدث عند عقد مؤتمر مدريد ١٩٩١ عندما كان رئيس الحكومة إسحق شامير، لا يريد الذهاب إلى مدريد فضغطت عليه الولايات المتحدة، التي كانت تريد إعادة ترتيب أوضاع المنطقة بما يناسب المصالح الأميركية بعد حرب الخليج الثانية وإخراج العراق من الكويت، وكانت ترى مصلحتها الاستراتيجية العليا في عقد ذلك المؤتمر، وإطلاق ما يسمى «عملية السلام»، وأن ذلك لا يتناقض مع المصالح البعيدة «لإسرائيل».

وفي مرة أخرى غضبت الولايات المتحدة من الكيان الصهيوني، لأنه يبيع تكنولوجيا عسكرية إلى الصين، في محاولة انتهازية لفتح سكك مع دول كبرى أخرى غير الولايات المتحدة، من منظور أن الأخيرة قد يتراجع دورها في العالم، وأن من الأجدى «لإسرائيل» أن يكون لها علاقات وارتباطات بالدول الكبرى الصاعدة. فثارت ثائرة الولايات المتحدة التي تدعم تايوان عسكرياً، وترى في الصين تهديداً استراتيجياً، وأن لها الحصة الأكبر في التكنولوجيا العسكرية «الإسرائيلية»، لأن الكيان الصهيوني عقد عام ١٩٩٩ مع الصين صفقة لبيع طائرات استطلاع الكترونية بدون طيار من طراز فالكون، فأرغمته على إلغاء الصفقة، مما اضطر الكيان الصهيوني لدفع مئات ملايين الدولارات للصين كتعويض. ثم طلبت الولايات المتحدة في عام ٢٠٠٤ من الكيان الصهيوني نقل كل تفاصيل التعاون الأمني والصفقات الـ٦٠ التي أجرتها مع الصين إليها، وفحص منظومة الرقابة في الكيان الصهيوني على تصدير الأسلحة، وصياغة وثيقة تنسيق لهذا الأمر بين الطرفين، وإقالة أربعة من كبار المسؤولين في المؤسسة العسكرية في الكيان الصهيوني، وتقديم اعتذار علني إليها.

ومن الواضح أن الولايات المتحدة تتدخل وتضغط على الكيان الصهيوني إذا شعرت أن هناك أمراً يتعارض مع مصالحها الإستراتيجية، وهذا التدخل لا يضر بالمصالح البعيدة للكيان الصهيوني ولا يتعلق بقضايا مصيرية بالنسبة إليه، فهي لم تضغط على الكيان الصهيوني طوال تاريخ الصراع لإعادة اللاجئين الفلسطينيين، على الرغم من مطالبته بعد النكبة عام ١٩٤٨ بإعادة بعض منهم، والحديث في مشروعات أميركية عديدة عن حل مشكلة اللاجئين، ولكن دون أن تضغط عليه في هذا الشأن، وهي لم تضغط عليه للانسحاب من أرض عربية محتلة إلا عام ١٩٥٧ للانسحاب من سيناء أيام أيزنهاور، كما سبق وأشرنا، ولم تضغط عيه ولا مرة ضغطاً حقيقياً لوقف الاستيطان أو إبطال إجراءاته في القدس والجولان منذ عام١٩٦٧.

وهذا الأمر يعيدنا للحديث عن طبيعة العلاقات التي تربط الولايات المتحدة بالكيان الصهيوني، ولماذا توصف بأنها علاقات استراتيجية ..؟ فالولايات المتحدة بوصفها دولة استعمارية غربية كبرى، دعمت المشروع الصهيوني منذ بدايات تكوينه، وكان لها دور أساسي في وعد بلفور، وفي التأثير على سياسة الانتداب البريطاني لتكون أكثر تطابقاً مع البرنامج الصهيوني، وبعد أن صارت قائدة للعالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية، وضعت كل ثقلها من أجل قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨، وحمايتها ورعايتها بعد ذلك، وهي التي تقدم لها الدعم والتغطية السياسية والاقتصادية، وأعلى أنساق التقنية العسكرية التي تمكنها من الاستمرار في سياساتها الاحتلالية الاستيطانية العدوانية، وهي تقول إن إستراتيجيتها في المنطقة ترتكز على عنصرين: استمرار تدفق النفط، وأمن «إسرائيل»، ويكرر كل الرؤساء الأميركيين المتعاقبين هذا الأمر، بمن فيهم الرئيس أوباما كما سبق وأشرنا.

وهذا الوضع أساسه أن الكيان الصهيوني قام بوصفه قاعدة ارتكاز وسيطرة تؤدي دوراً وظيفياً، في خدمة استراتيجيات السيطرة الاستعمارية في هذه المنطقة المفتاحية من العالم، وهو بحكم تكوينه الاستعماري الاستيطاني، وتناقضه مع البنية الحضارية العربية الإسلامية لشعوب المنطقة، وقيامه بالضد من مصالحها، مرتبط حكماً ارتباط الحاجة التي لا تنفصم، مع المركز الاستعماري وهو الولايات المتحدة. ومن هنا كان القول الشائع والقناعة الراسخة لدى الطرفين أن ما هو صالح للكيان الصهيوني، صالح للولايات المتحدة، والأميركيون يرون أن الكيان الصهيوني يختلف عن النظم الأوتوقراطية والبيروقراطية الحليفة لهم في المنطقة، والتي يمكن أن تطيح بها انقلابات أو تغييرات سياسية، فهو بطبيعة بنيته الاستيطانية لا يتغير ارتباطه بالولايات المتحدة، وكما قال والتر مونديل نائب الرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان: «إن إسرائيل هي حاملة الطائرات التي لا تغرق للولايات المتحدة».

وفي مسألة المفاوضات وما يسمى عملية السلام، فإن تاريخ الصراع يؤكد أن الصهاينة والأميركيين يعملون في تناغم في هذا الجانب، فتحت غطاء ما يسمى «عملية السلام»، يستمرون في تكريس وخلق الوقائع الاستيطانية والاحتلالية الجديدة، ويتهمون كل من يعمل على مقاومة الاحتلال والاستيطان بالإرهاب، ويخدعون العالم بالقول: إن الأمور على ما يرام، وهي تسير على طريق التسوية، وأي تدخل يسيء إلى هذه العملية. وقد رأينا كيف كانت الولايات المتحدة تستخدم حق النقض الفيتو، ضد أي قرار بإدانة الكيان الصهيوني بالقول: إن ذلك يسيء إلى عملية التفاوض وجهود السلام الجارية بين الطرفين. وفي الأساس فإنه ليس حقيقياً ولا واقعياً أن الولايات المتحدة أو العالم سيقوم بالضغط على «إسرائيل» للانسحاب من الأرض المحتلة، وتحصيل الحقوق الفلسطينية، بدلاً من الفلسطينيين والعرب، كما يشيع فريق السلطة الفلسطينية المتعلق بأهداب «الشرعية الدولية»، والذي يتحدث عن إنجازات وهمية في هذا المجال.

Digitized by Birzeit University Library

مصر... من الرئيس الأوحد إلى الرئيس المنتخب... الناصريون والبرادعي

بقلم: عادل الجوجري
رئيس تحرير صحيفة الأنوار الأسبوعية
والغد العربي الشهرية

زارني مجموعة من شباب الإعلاميين ،و دار حوار خصب وصريح حول أحدث المواقف في مصر العربية سألوني:هل تؤيد ترشيح البرادعي لرئاسة الجمهورية؟

قلت: نعم، فنحن في حاجة إلى تغيير في المنهج والسياسات والأشخاص، ولا يمكن أن تستمر مصر وهي بلد كبير ومحوري في المنطقة بالسياسات نفسها لمدة ثلاثة عقود من دون تغيير.

وسئلت: لكن البرادعي لا يمتلك فرصة الترشح بسبب القيود التي فرضتها المادة ٧٦من الدستور؟

قلت: لا بد من تغيير الدستور كله، فمصر تحتاج إلى دستور عصري يعلي من قيمة المواطنة ويوفر مرجعية لكل التغيرات في المجتمع، ويحدد فترة وجود الرئيس في منصبه بدورتين لا أكثر، كما يحدد صلاحياته الواسعة جدا، ويحدد أسلوب مراقبة قراراته وطريقة محاكمته إن تجاوز.

قالوا: لكن الرئيس مبارك أجرى تعديلات دستورية وحصلت على أغلبية في استفتاء علني؟

قلت: ما حصل في ٢٠٠٥ هو جريمة بكل المقاييس لأن حائكي القوانين رسموا تعديلات على مقاس مبارك وابنه، وتحول دون ترشح أي معارض مستقل، وهذا ترقيع معيب للدستور أدى الى تقييد العمل الانتخابي وتوسيع فرص التزوير بعد تغييب دور القضاء، وعلى كل المخلصين العمل الجاد من أجل دستور عصري، تشكله لجنة تأسيسية مستقلة، تضم شخصيات قانونية وسياسية مرموقة ومستقلة لأن الدستور ليس هبة من الحاكم بل هو إبداع جماعي يبلور الضمير الجمعي للأمة.

قالوا: لكن ما تقوله هو نفس رأي الأستاذ محمد حسنين هيكل؟

قلت: ليس هناك ضير في أن يحتكم الجميع إلى صندوق الاقتراع المهم أن تكون هناك جدية، وفرص حقيقية للمنافسة، وأن يجد المواطن نفسه أمام برامج مختلفة تعكس وجهات نظر واجتهادات، ولاشك أن البرادعي قادر على طرح برنامج للتغيير الديمقراطي أوسع بكثير مما هو قائم.

قالوا: وما هو دليلك؟

قلت: هناك جبهة للتغيير تضم شخصيات لا يشك أحد في وطنيتها التقت البرادعي، وحاورته وتوافقت معه على نقاط برنامجية، والحركة الوطنية المصرية تحتاج الى رمز يلتف حوله أغلبية الشعب في مواجهة مرشح الحزب الوطني، وهنا يكفي هذه الحماسة الشديدة للرجل في أوساط الشباب، ففي مواقع الفيس بوك نشاط كبير من شباب يبحث عن نقطة ضوء وعن أمل في التغيير، هذا الشاب الذي بلغ عمره ثلاثين عاماً لم ير رئيسا إلا مبارك ولا وزيرا إلا صفوت الشريف ولا رئيساً لمجلس الشعب إلا فتحي سرور، هذا أمر يبعث على الملل، إذ إن التغيير سنة الحياة.

قالوا: لكنك تنتمي للفكر الناصري والبرادعي ليس ناصريا، كيف تؤيده؟

قلت: نريد مرشحا للعبور من مرحلة الرئيس الأوحد إلى الرئيس المنتخب عن جد وعن حق، ليس بالضرورة أن يعبر عني مائة في المئة، وإنما يكفي أن يكون رئيسا منتخبا من الشعب وعبر صندوق الاقتراع حتى نستطيع أن نغيره مثل أي شعب حر في العالم، لا بد من عبور الجسر، من مناخ بيروقراطي عسكري تابع للغرب ومهادن مع العدو الصهيوني إلى نسيم ديمقراطي عليل، يكفي أن يكون هناك منافس له سمعة دولية ومكانة إقليمية ومعه هذه الشهادات والمؤهلات والخبرات بما في ذلك جائزة نوبل.

قلت: هو أستاذنا، وما قاله يمثل شرائح واسعة في المجتمع، فلا يوجد أحد حتى داخل الحزب الوطني راض عن الدستور بعد تعديله، خذوا رأي الدكتور مصطفى الفقي، أو شوقي السيد وهما محسوبان على النظام لكن لديهما اعتراضات واسعة، بل إن د.عبد المنعم سعيد وهو أحد أبرز منظري لجنة السياسات قال بالحرف الواحد أنه يعارض المادة ٧٦ التي تعتبر «نكتة» ليس لها مثيل في عالم الدساتير ليس فقط من فرط طولها «٣صفحات» وإنما أيضا لأنها تحصر الترشح للرئاسة في شخصين لا ثالث لهما أما الرئيس مبارك او نجله جمال، فهل هذا دستور؟

وأضفت: واقع الحال أن مصر عبرت مرحلة مليئة بالتحولات، وقد آن الأوان من أجل التغيير الشامل الذي يصنعه المواطن ولا يصنعه شخص الرئيس، إن الشعب المصري يستحق دستورا أفضل، و نظاما أرقى، وحريات أوسع من أجل تنشيط الإبداع.

قالوا: ولكن فرص البرادعي في النجاح تبدو قليلة مقارنة بمبارك؟

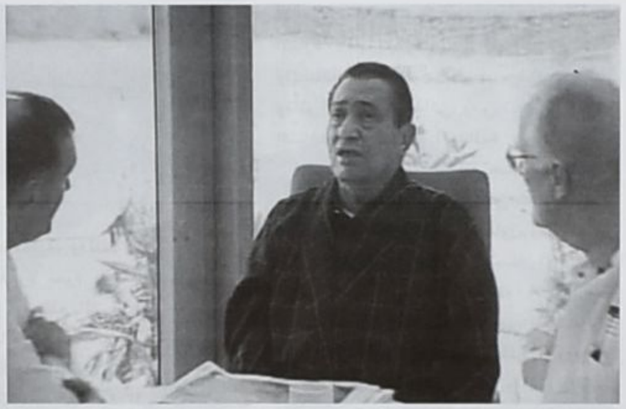

قالوا: هو ليس اشتراكيا؟

قلت: إن الرئيس المنتخب عن طريق الشعب وليس على طريقة انتخابات مبارك السابقة، التي قاطعها الناخبون، ولا بد للرئيس الديمقراطي وبالضرورة أن يكون ضد الفساد والمحسوبية وتركيز السلطة في يده، وهذه مقومات هامة في الحكم الرشيد، والرئيس الديمقراطي حتما سوف ينحاز إلى الناس الفقراء، وليس مهما طريقة الوصول الى العدل الاجتماعي، فالمهم هو أن يتوافر العدل الغائب في بلادنا، بعد أن تاهت مصر ولم تعد اشتراكية ولا رأسمالية وإنما نهباوية.

قالوا: هو لم يحسم موقفا ضد العدو الصهيوني مع أن الناصريين في خندق المقاومة و ضد الصهاينة على طول الخط؟

قلت: ليس من الضروري أن يعلن البرادعي مواقفه كلها جملة وتفصيلا، هناك قضايا تحتاج الى حوار طويل ومثمر، والرجل كما بدا لنا هو رجل حوار ليس منغلقا على أفكار بعينها ،وثقوا أن الرئيس الديمقراطي هو حتما غير تابع إلا لشعبه، لا يرضخ لقوى كبرى ولا يسلم مفاتيح قراره إلا للشعب الذي هو صاحب السلطات، وهو صاحب المصلحة، والشعب ضد العدو الصهيوني فلا بد أن يستجيب البرادعي، وإن لم يستجب عزله الشعب بأسلوب ديمقراطي، بعكس الوضع الراهن فالشعب كانت له رؤية في عشرات المواقف لكن النظام كان يتخذ عكسها على طول الخط!

قالوا: أعطنا مثالا؟

قلت: عندي عشرات الأمثلة... لقد شارك النظام في توفير مبررات الغزو الأنجلو أميركي لاحتلال العراق، وسمح للمدمرات الأميركية من عبور قناة السويس، وكان النظام ضد المقاومة في لبنان وفلسطين، ومنع التظاهرات المؤيدة للانتفاضة بل أقام جدارا فولاذيا لمواصلة الحصار على غزة، كلها مواقف ضد إرادة الشعب، ولو أجريت استفتاءات حقيقية لظهرت المواقف وتجلت الرؤى المتناقضة بين الشعب والسلطة.

قالوا: هل البرادعي مجرد مرحلة وبعدها نعود الى سابق عهدنا؟

قلت: لا، الشعب لن يفرط في حريته ولا دستوره، إن ميزة البرادعي أو من كان على شاكلته هي العمل مع الحركة الوطنية بكل رموزها ومنظماتها من أجل تأسيس نظام ديمقراطي جديد، نظام يسمح بالتغيير عن طريق الشعب، ويسمح بالرقابة والمحاسبة لأكبر رأس في البلد، وبحيث لا يوجد من هو فوق القانون، نريد من البرادعي إعادة تأسيس دولة القانون والدستور والحريات العامة، وتأكيد مبدأ المواطنة وحماية مصر من الاختراق والعودة الى المحيط العربي من موقع القيادة...وإذا فعلنا ذلك نكون قد استعدنا وهج الناصرية ومجد الأمة العربية، وسنطاول الأمم بمشروع حضاري نهضوي جديد.

قالوا: يا ليت.

الانتخابات العراقية... لا فرق بين العملاء

انتهت جولة الانتخابات العامة العراقية، بالإعلان عن نتائجها النهائية، التي أشارت إلى صعود، نفس رموز العملية السياسية العراقية التي وضع أسسها اليهودي الأميركي الجنرال غاردنر... وساعده في ذلك جون نيغروبونتي السفير الأميركي الأول في ظل الاحتلال.. وزلماي خليل زاده السفير الأميركي الثاني في ظل الاحتلال... والذي جاء بعده كروكر الذي يتولى حالياً منصب السفير...

رموز الانتخابات العراقية، هم نفس الشخصيات العراقية التي قادت تجمعات المعارضة العراقية في الخارج.. والذي سعت سلطات الاحتلال الأميركي إلى استخدامهم ك (متعاملين) بعد أن وفرت لهم المكاتب الأنيقة في ملاذ آمن يقع في العاصمة العراقية بغداد.. أطلقت عليه تسمية المنطقة الخضراء.. الذين رتبت سلطات الاحتلال الأميركي سيناريوهات فوزهم في الانتخابات المصنوعة، هم:

- تحالف الجعفري-الحكيم، الائتلاف الوطني العراقي ٧٠ مقعداً.
- كتلة نوري المالكي، ائتلاف دولة القانون، ٨٩ مقعداً.
- كتلة أياد علاوي، القائمة العراقية، ٩١ مقعداً.
- كتلة البرازاني-طالباني، التحالف الكردستاني، ٤٣ مقعداً..وبقية المقاعد توزعت بين الجماعات السياسية الصغيرة، ذات الدور التكميلي في «العملية السياسية» العراقية التي تدير دولابها السفارة الأميركية في بغداد...

سعت وسائل الإعلام الأميركية والغربية إلى تصوير الصراع الانتخابي العراقي باعتباره يمثل معركة سياسية دارت بين القوى السياسية العراقية الساعية إلى تداول السلطة عبر الاحتكام إلى صناديق الاقتراع.. لكنما الواقع يقول إن سيناريو الصراع السياسي العراقي، قد رتبت فصوله بحيث يحتوي على المزيد من المشاهد السياسية الدراماتيكية.. بما يوهم بأن العراق قد أصبح بفضل الاحتلال العسكري الأميركي واحة للحرية والديمقراطية.. لقد تضمن هذا السيناريو المرتب توزيعاً دقيقاً للأدوار.. لكنما هذا لن يحجب حقيقة تقول بأن المتعاملين مع الاحتلال يظلون هم ماركة واحدة.. وإنه لا فرق بين علاوي والمالكي والجعفري والبرزاني.. وستظل الكلمة الأخيرة.. للشعب والمقاومة العراقية، اللذين لا صوت يعلو على صوتهما..

Digitized by Birzeit University Library

ثالوث الفكر السياسي الأميركي

هيمنة وغطرسة ونهب الآخر

سيد حسن سيد

تشهد الساحة السياسية العالمية اهتماماً واسعاً بتحليل الأداء السلوكي لسياسات الإدارات الأميركية، وبرغم أن هذا الاهتمام قد بدأ مع مطلع الحقبة التي أعقبت انتهاء الحرب الباردة، فإنه، وتحديداً، مع صعود إدارة الرئيس بوش الابن، واشتعال فتيل ملف الحرب ضد الإرهاب، أخذ طابعاً مرتفع الشدة، وإذا كانت نقطة قوة هذه التحليلات السياسية تتمثل في رصد الأداء السلوكي السياسي الأميركي، فإن نقطة ضعف هذه التحليلات تتمثل في عدم النفاذ إلى الداخل الأميركي، بما يتيح تحليل الخلفيات التاريخية والمكونات المعرفية والإيستمولوجية الخاصة بالثقافة السياسية والفلسفة السياسية الأميركية.

الخلفيات والمكونات

يعتبر الفكر السياسي الأميركي المعاصر، بمثابة امتداد مباشر للفكر السياسي الأوروبي الغربي بشقيه الإنجلوفوني، والفرانكوفوني، مع وجود تأثيرات كبيرة للنزعة الإنجلوساكسونية، والنزعة المسيحية البروتستانتية، وتعود أسباب حداثة نشأة الفكر السياسي الأميركي، إلى أن أميركا نفسها ليست بلداً أو أمة تتمتع بالعراقة الفكرية والفلسفية، وذلك لأن بدايات نشأة أميركا المعاصرة تعود إلى منتصف القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر، وذلك عندما بدأت موجات الهجرة الأوروبية تغلغلها في القارة الأمريكية الشمالية..

سعت الأفواج المهاجرة إلى التجمع في مناطق استيطانية، يتميز كل واحد منها بتجانس العناصر المهاجرة على أساس اعتبارات بلد المصدر، وهكذا فقد تجمع المهاجرون البريطانيون في مناطق خاصة بهم، وأطلقوا عليها تسمية مدنهم ومقاطعاتهم التي جاؤوا منها، و الشيء نفسه بالنسبة للقادمين من مناطق القارة الأوروبية الغربية الأخرى، الأمر الذي جعل من هذه التجمعات لا تؤدي دور المناطق التجميعية السكانية، وإنما أيضاً دور الحامل لثقافة وفكر وعادات وتقاليد الوطن الأم الذي جاءت منه.

استقرت المجموعات السكانية الأوروبية الغربية، ضمن ما عرف آنذاك بالدنيا الجديدة، أو الأرض الجديدة، وبرغم أن هذه المجموعات كانت تحمل بينها التناقضات العدائية، التي كانت تشكل امتداداً لمعطيات التاريخ الأوروبي المضطرم بالتنافس العدائي والحروب، فقد وجدت هذه المجموعات في أرض القارة الأميركية منابع لا تنضب من الموارد والمصالح، الأمر الذي أدى بدوره إلى تخفيف وتائر التنافس العدائي، ومن ثم فقد تحولت التناقضات الأولية العدائية إلى تناقضات ثانوية.. وبمرور الوقت انفتحت علاقات هذه المجموعات باتجاه التحول من نمط علاقات الصراع إلى نمط علاقات التعاون، ولم يعد من تناقض أولي عدائي، إلا مع السكان الأصليين: الهنود الحمر، الذي سعوا وبقوة إلى مقاومة الاستعمار الاستيطاني الأوروبي المكثف، وقد دارت المعارك سجالاً بين المستوطنين الأوروبيين المدججين بالأسلحة النارية.. والهنود الحمر الذي لم يكن لهم من سلاح سوى الفؤوس.. والسهام.. والشجاعة من أجل الوجود دفاعاً عن أرض القبيلة-الوطن.. وطرد الغريب..

تشكلت ثقافة الكاوبوي (راعي البقر) على خلفية إرث الحرب بين القادمين الجدد والسكان الأصليين، وتشير دراسات وتحليلات الباحثين وجماعات حقوق الإنسان، إلى أنها لم تكن حرباً، وإنما كانت جريمة إبادة جماعية واسعة النطاق، تم من خلالها تنفيذ عملية استئصال مادي-ثقافي لشعوب كاملة، ولم يختف السكان الأصليون الأميركيون وحسب، وإنما اختفت لغاتهم.. وأديانهم.. وتراثهم الثقافي بشقيه المادي والرمزي هذا، وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة قيام المهاجرين الأوروبيين الغربيين بتنفيذ جريمة الإبادة، لم تقتصر حصراً على القارة الأميركية الشمالية، فقد فعل المهاجرون-المستوطنون الأسبان ما هو أكثر فظاعة في أميركا الجنوبية، بما أدى إلى تحويل هويتها بالكامل لتصبح أميركا اللاتينية.. بدلاً عن أميركا الجنوبية، و الشيء نفسه فعله البريطانيون في أستراليا ونيوزيلند..

خلال فترة الهجرات الأوروبية الغربية المكثفة إلى أميركا الشمالية، كان التنافس والصراع دائراً على أشده في القارة الأوروبية بين الإمبراطورية البريطانية، والإمبراطورية الفرنسية، إضافة إلى الإمبراطورية النمساوية-الهنغارية، وبسبب انهماك الأخيرة في صراعات وسط وشرق أوروبا مع الإمبراطورية الروسية، والإمبراطورية العثمانية، فقد كان الصراع في أعالي البحار، يدور بين الإمبراطورية الفرنسية والإمبراطورية البريطانية، وقد انعكست ظاهرة الصراع البريطاني-الفرنسي في القارة الجديدة، أميركا، وما كان لافتاً

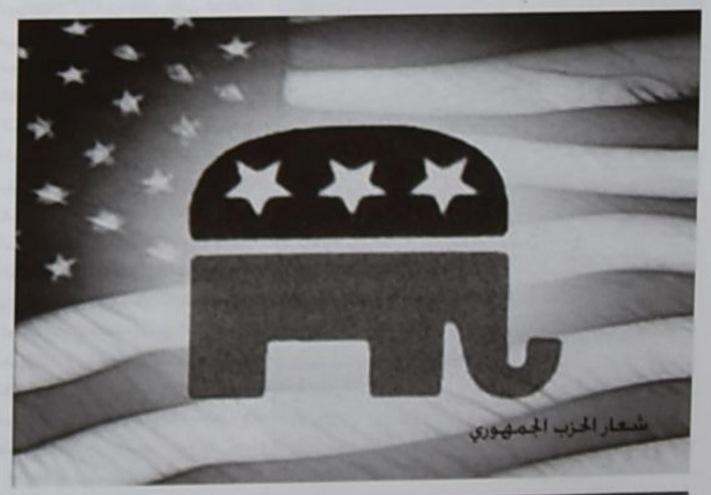
شعار الحزب الجمهوري

شعار الحزب الجمهوري

للنظر هو أن كفة بريطانيا كانت هي الأرجح، وكان السبب الأساسي يتمثل في الطبيعة العنصرية للمهاجرين القادمين من مناطق شمال ووسط أوروبا، فقد آثروا الاندماج ضمن المجموعات البريطانية، بما أدى إلى نشوء أغلبية تعتمد الثقافة البريطانية ذات المكونات الساكسونية، والإنجلوساكسونية، وأقلية لم تجد في نهاية الأمر بداً من التخلي عن ثقافات شعوب جنوب أوروبا-الفرنسية-الايطالية-اليونانية، وتندمج ضمن ثقافة الأغلبية، وقد أدى هذا الاندماج بدوره إلى إدخال القارة الأميركية الشمالية من دائرة التبعية لبريطانيا، وتأسيساً على ذلك أصبحت أميركا لاحقاً ضمن منظومة المستعمرات البريطانية.. تجمع البريطانيين في توطيد نفوذهم الاقتصادي، والسياسي والثقافي والاجتماعي في أميركا الشمالية، وعلى هذه الخلفية تبلورت تيارات الفكر السياسي الأميركي ضمن نسق ومجرى الفكر السياسي البريطاني-الانجلوساكسوني، ودار صراع وتنافس ثقافي-سياسي-ديني بين تيارين:

١- تيار ثقافة المحافظين، والذي سعى إلى اعتماد أطروحات الكنيسة البروتستانية، والكنيسة الكاثوليكية، بما أدى إلى تبلور ثقافة سياسة محافظة، عبرت عن نفسها لاحقاً ضمن ظاهرة الجمهوريين، وكان نفوذها يتمركز في مناطق وسط وجنوب الولايات المتحدة الأميركية الحالية.

٢- تيار ثقافة التحرريين، والذي سعى إلى اعتماد أطروحات الحرية، والانفتاح اللا محدود إذا تمجيد قيم الحرية، والتحرر من القيود التقليدية، وعبر هذا التيار عن نفسه لاحقاً ضمن ظاهرة الديمقراطيين، وكان نفوذه يتمركز في مناطق الشمال، ومناطق الساحل الغربي والساحل الشرقي، هذا وقد ظلت قسمة النفوذ المحافظ-التحرري هذه تلقى بظلالها على خارطة الولاء السياسي الحزبي الأميركي حتى يومنا هذا، بحيث درجت العادة على أن يحصد الجمهوريون أصوات الناخبين في المناطق الوسطى والجنوبية، ويحصد الديمقراطيون أصوات الناخبين في المناطق الشمالية، ومناطق الساحل الغربي المطل على الباسفيك، والساحل الشرقي المطل على الأطلنطي، مع ملاحظة أن التنافس بين الجمهوريين والديمقراطيين يحتدم أكثر فأكثر في عدد محدود من الولايات ذات الطبيعة المختلطة.

انقسامات لاحقة

أدت عملية الاستقطاب السياسي داخل الولايات المتحدة الأميركية، وعلى وجه الخصوص في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، من جهة إلى تبلور تيارين سياسيين رئيسيين، هما:

- الحزب الديمقراطي الأميركي: ويعتمد برنامجاً يقوم على إعطاء الأفضلية للتوجهات التحررية، مثل تحرير التجارة، والاهتمام ببرامج الرعاية الصحية والضمان الاجتماعي، وكفالة الحقوق المدنية، وبكلمات أخرى التركيز على الأوضاع الداخلية بشكل يفوق التركيز على الأوضاع الخارجية، وبكلمات أخرى، تأتي السياسة الداخلية أولاً.. وفي المرتبة الثانية تأتي السياسة الخارجية.

- الحزب الجمهوري الأميركي: ويعتمد برنامجاً يقوم على إعطاء الأفضلية للتوجهات المحافظة، مثل تكريس الحمائية الاقتصادية للتجارة الأميركية، والضغط على برامج الرعاية الصحية والضمان الاجتماعي والحقوق المدنية، بما يتيح تقليل الضرائب والرسوم، وما شابه ذلك، وذلك بما يعطي الأولوية للاهتمام بالقضايا الخارجية المتعلقة بحماية أمن المصالح الأميركية في الخارج، وبكلمات أخرى، تأتي السياسة الخارجية أولاً، وفي المرتبة الثانية تأتي السياسة الداخلية.

تواترت على البيت الأبيض الأميركي الإدارات الجمهورية، والإدارات الديمقراطية، وفي سياق هذا التواتر، برزت المزيد من الأجنحة المتصارعة في أوساط الجمهوريين والديمقراطيين، وفي هذا الخصوص نشير إلى الآتي:

انقسامات الجمهوريين

برغم وجود العديد من الأجنحة والمعسكرات، فإن الانقسام الرئيسي الحالي، هو بين جماعة المحافظين التقليديين، الذي يتزعمهم حالياً الرئيس بوش الأب، وجماعة المحافظين الجدد الذين يتزعمهم ديك تشيني نائب الرئيس بوش الابن..

انقسامات الديمقراطيين

توجد العديد من التيارات والمعسكرات التي يصعب حصرها، ومن أبرزها جماعة الليبراليين، وجماعة المعتدلين، إضافة إلى جماعة حقوق الأقليات الأميركية..

حالياً تشير التوقعات إلى أن الفكر السياسي الأميركي سوف يشهد المزيد من التطورات التي سوف تتضمن انقسامات نوعية جديدة، وعلى وجه الخصوص تلك المتعلقة بالأوضاع الداخلية الأميركية وعلاقات بالأوضاع الخارجية، وبكلمات أخرى، الجميع من أميركا يؤيد ويقوده صعود أميركا إلى قمة النظام الدولي، وممارسة النفوذ على العالم، وتأسيساً على ذلك يرى الجمهوريون بأن المطلوب هو «الهيمنة الأميركية على العالم».. عن طريق إسقاط القوة الأميركية العسكرية والاقتصادية والسياسية، بما يتيح لأميركا القضاء على كل الكيانات والدول «المارقة».. أما الديمقراطيون فيرون بأن المطلوب هو «قيادة أميركا للعالم».. وذلك عن طريق عملية العولمة التي تتيح توحيد النظام الاقتصادي العالمي، والنظام الاجتماعي العالمي.. والنظام الأمني العالمي.. وما شابه ذلك ضمن منظومة واحدة تتولى فيها أميركا دور القائد الذي يمسك بزمام المبادرة والسيطرة.

Digitized by Birzeit University Library

الاستيطان الصهيوني في فلسطين
موجة الهجرة الرابعة

محمد حسين عرفة

يتناول هذا الملف، موجة هجرة (الغزو) الصهيوني الرابعة لفلسطين، في مرحلة الاستيطان الجديد، في أعوام ١٩٢٤-١٩٣١، والتي تمت إبان مرحلة الاحتلال البريطاني لفلسطين، وبعد صدور قرار صك الانتداب البريطاني عليها عام ١٩٢٢، والمتساوية في أهدافه، مع وعد بلفور المشؤوم عام ١٩١٧، لا بل دعم ذلك الوعد، باعتبار صك الانتداب (قراراً دولياً ملزماً) للدولة المنتدبة).

وقد شهدت هذه الفترة الزمنية من تاريخ فلسطين، أحداثاً متعددة ومتنوعة، منها ما هو استمرار لأحداث سابقة، ومنها ما هو طارئ ومستجد، ولها ما بعدها من نتائج.

دور بريطانيا في تهويد فلسطين

كانت الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية ومنذ البداية، حاضنة للمشروع الصهيوني وداعمة له من خلال تصريح بلفور بما ينص (على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين)، وعلى ذلك فمنذ استعمارها لفلسطين، أخذت على عاتقها بانتهاج سياسة من شأنها تمكين المشروع الصهيوني من تحقيق أهدافه. وقد تجلى ذلك من خلال الإجراءات التالية:

١- السماح للبعثة الصهيونية برئاسة حاييم وايزمان بزيارة فلسطين وتسهيل مهمتها.

احتلت بريطانيا جنوب فلسطين ودخل الجنرال اللنبي القدس بتاريخ ١٩١٧/١٢/٩، وبعد حوالي أربعة أشهر من احتلالها سمحت للبعثة الصهيونية من دخول فلسطين في نيسان ١٩١٨، علماً أن كامل فلسطين قد سقطت في يد القوات البريطاني في أيلول ١٩١٨، وقد كان هدف هذه البعثة العمل على ما من شأنه تحقيق وطن قومي لليهود في فلسطين، وبداية تحقيق ما يلي:

أ- تمتين العلاقة بين (الإدارة البريطانية في فلسطين) والصهاينة فيها.

ب- تسهيل هجرة الصهاينة إلى فلسطين واستيطانهم فيها.

ج- المزيد من الاستحواذ على الأرض، وإقامة المستعمرات عليها.

د- التخطيط لإنشاء جامعة عبرية في فلسطين (في القدس).

هـ- بناء المزيد من المدارس والمعاهد اليهودية-الصهيونية.

وقد سهلت السلطات البريطانية عمل هذه اللجنة، لا بل،مساعدتها في تحقيق لقاءات مع الزعماء الوجهاء الدنيويين والدينيين من مسلمين ومسيحيين ومحاولة طمأنتهم من أهداف المشروع الصهيوني، بهدف تضليل وخداع عرب فلسطين وجماهيرها، والتي قابلت زيارة البعثة الصهيونية، بالريبة والحذر والسخط الشعبي والمظاهرات في المناطق والمدن الفلسطينية التي زارتها البعثة.

٢- السماح بالهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وفتح المجال أمام المهاجرين الصهاينة للاستيطان في فلسطين وبناء المستعمرات فيها. والتي بلغت أعدادهم إبان هذه الفترة الزمنية -موضوع الدراسة، ٤٠ ألف مستوطن.

٤- تعيين (الصهيوني-البريطاني هربرت صموئيل) في تموز ١٩٢٠، وهو أحد أبرز صهيوني بريطانيا، وأحد صانعي وعد بلفور، وقد كان وزيراً للداخلية البريطانية عند إصدار الوعد، مندوباً سامياً في فلسطين. والذي كان له دورٌ فعالٌ في خدمة (البرنامج الصهيوني) وتنفيذ وعد بلفور القاضي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. كما أن إجراءاته مع الإدارة البريطانية كانت تمهد السبيل لذلك.

٥- القوانين والتشريعات الجائرة بحق الفلسطينيين، التي أصدرتها الإدارة البريطانية عملت الإدارة البريطانية، ومنذ احتلالها لفلسطين، على إصدار القوانين والتشريعات، التي تمكن الصهاينة من الهجرة إلى فلسطين، ومن استحواذهم على ملكية الأراضي، ومنحتهم (الأراضي الأميرية) وبناء المستعمرات وحمايتها، وكذلك على دعم مصالحهم الاقتصادية، وتعزيز نفوذهم ووجودهم في فلسطين، لا بل تسليحهم أيضاً.

٦-ممارسة سياسة خداع العرب وتضليلهم، والعمل على شق الصف الوطني الفلسطيني ومحاولة خلق الفتن الطائفية، وحتى ضمن الطائفة الواحدة.

٧-الانحياز للصهاينة، والعداء للعرب الفلسطينيين، والتضييق عليهم، لا بل، اعتقال المقاومين الفلسطينيين للمشروع الصهيوني، وإصدار أحكام الإعدام بحقهم، وإيداعهم السجون لسنوات طويلة، وكذلك مطاردتهم وحتى ضربهم بالطائرات.

٨-ممارسة سياسة (الإفقار والتجهيل) بحق الشعب الفلسطيني، وإهمالها وتجاهلها حاجة البلاد والمناطق الفلسطينية للتعليم

بلفور

هربرت صموئيل

وافتتاح المدارس، وكذلك حرمان الفلسطينيين من الرعاية الصحية والاجتماعية والتربوية. هذا في الوقت الذي يقوم فيه المندوب السامي بافتتاح (الجامعة العبرية) بما يعنيه ذلك من أهمية للمشروع الصهيوني.

إن النظرة إلى المشهد البريطاني في فلسطين، إبان هذه الفترة الزمنية، وما تلاها طوال الفترة الانتدابية عليها، يعتبر من أسوأ المشاهد الإنسانية في التاريخ. وإن دور بريطانيا في تهويد فلسطين، هو عار عليها يندى له جبين الانسانية، لأنها ليست مسؤولة عن جريمة اغتصاب جزء من فلسطين عام ١٩٤٨، ولا عن تشريد وعذابات شعبها فحسب، بل أيضاً عن معاناة لأمة العربية-الإسلامية بكاملها جراء سياستها العدوانية، وكذلك بالمخاطر التي تحيط بالأمن والسلام العالمي وتعكره.

المشهد الصهيوني

يبدو المشهد الصهيوني في الحقيقة، متعدد الوجوه والأبعاد والاتجاهات، وهو يتداخل في كليته مع (المشهد البريطاني) ليس في هذه الفترة الزمنية موضوع الدراسة فحسب، وإنما طوال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، وكأنهما مشهد واحد. ذلك أنهما يمثلان طرفاً واحداً في العداء ضد الفلسطينيين والعرب، لأن أنشطتهما تتكاملان بهدف تحقيق وعد بلفور، وتمكين الحركة الصهيونية من إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين إن المشهد الصهيوني في فلسطين إبان هذه الفترة الزمنية، هو استمرار للمشهد ذاته في الفترة السابقة وتطوير له. ذلك إن وجود الاستعمار البريطاني لفلسطين بعد صدور وعد بلفور، ولاحقاً بعد صدور صك الانتداب البريطاني على فلسطين، قد زاد من وتيرة نشاط الحركة الصهيونية، وفق منهجية جديدة تتواكب خطاها مع برنامج المشروع الصهيوني، ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا، إن المشهد الصهيوني في هذه الفترة بالذات، كان بمثابة حجر الزاوية في إرساء أساس تحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين لاحقاً. وللمشهد الصهيوني في هذه الفترة الزمنية، أوجه ومجالات عدة نتناولها على النحو التالي:

١-في مجال الهجرة الصهيونية إلى فلسطين:-

واصلت الحركة الصهيونية نشاطها من أجل استمرار هجرة اليهود الصهاينة إلى فلسطين، وتسريع وتيرتها وزيادة أعداد المهاجرين إليها. وقد بلغ عدد المهاجرين في هذه الفترة بأكثر من ٤٠ ألف مهاجر صهيوني، هاجر أغلبهم من أوكرانيا. وكانوا مختلفين عن غيرهم مما سبقهم، إنهم كانوا أكثر كفاية منهم، كما وكانوا في معظمهم من الفئات المتوسطة والموسرة، ولذلك أحضروا معهم عدة ملايين من الجنيهات الإسترلينية، وسكن قسم منهم في بعض المدن خاصة في تل أبيب وأسهموا في تطوير الصناعة الصهيونية وفي التجارة وفي مجال الخدمات.

٢-في مجال حيازة المزيد من الأرض والتوسع في بناء المستعمرات:

استمر حرص الحركة الصهيونية على الاستحواذ على الأراضي الفلسطينية، مستفيدة من ذلك من القرارات والإجراءات (والهبات) البريطانية لهم من الأراضي الأميرية، وحتى بيع «الإقطاعيون العرب، الذين يعيشون خارج فلسطين لأراضيهم. وعلى سبيل المثال، فقد باع آل «سرسق، من التابعية اللبنانية وحدهم حتى العام ١٨٢٥ (٢٠٠) ألف دونم للصهاينة، تقوم عليها ٢٢ قرية، وتقطنها ١٧٤٦ عائلة مجموع أفرادها ٨٧٣٠ نسمة. تشردوا وتشتتوا في البلاد، مع العلم أن الصهاينة اشتروا ٩٠٠ ألف دونم من غير الفلاحين الفلسطينيين. ومثال آخر عن تسرب الأراضي الفلسطينية إلى الصهاينة، ولكن على يد الإدارة البريطانية، فقد منحت إدارة الانتداب للحركة الصهيونية ٨٢ ألف دونم من الأراضي الأميرية، إضافة إلى ٧٥ ألف دونم لشركة البوتاس و ١٨ ألف دونم لشركة كهرباء روتنبريغ الصهيونيتين، وكذلك فقد نقلت سلطات الانتداب (امتياز تجفيف سهول الحولة) للشركات الصهيونية، علماً أن مساحة هذه السهول تبلغ ثلث الأراضي الخصبة في فلسطين.

وحتى بداية عام ١٩٢٨ بلغ ما لدى الصهاينة في فلسطين ١,٠٠٢,٠٠٠ دونم، إلى ما يوازي «سدس» الأراضي الزراعية في البلاد. كما وارتفع عدد المستعمرات الصهيونية في عام ١٩٢٧ إلى ٩٦ مستعمرة.

٣-في المجال التعليمي والثقافي والتربوي:

كان للخطوات الصهيونية المتخذة في هذا المجال-وبدعم من الإدارة البريطانية-دورٌ مساعدٌ في تحقيق تماسك التجمع الصهيوني في فلسطين وفي زيادة اندفاعهم وتوحدهم مع أهداف المشروع الصهيوني، وفي تحقيق هويتهم الثقافية والدفاع عنها، ونشير إلى ذلك بما يلي:

أ- اعتبار اللغة العبرية، إضافة إلى اللغتين العربية والإنجليزية لغة رسمية في فلسطين.

ب- رفع العلم الصهيوني ذي النجمة السداسية على أبنية المدارس والمؤسسات الصهيونية، وكذلك الجهر بالنشيد الصهيونية (هاتكفاه) أي نشيد الصهيوني الأمل في المدن التي يوجدون فيها وكذلك في المستعمرات والمدارس وفي المناسبات والاحتفالات الخاصة بهم. علماً أنهما أصبحا (علم ونشيد) الكيان الصهيوني لاحقاً.

ج- إقناع الإدارة البريطانية على كتابة حرف (أ.ي أي ايرتز إسرائيل أي أرض إسرائيل) على طوابع البريد الفلسطينية.

د- افتتاح رياض الأطفال والمداس والمعاهد الخاصة بهم.

وهذا ما يساعد على (تنشئة أطفالهم وفتياتهم) على نمطية عدائية معينة ضد الفلسطينيين، وعلى تلقينهم التاريخ المزيف والأباطيل والأضاليل التي تغرسها في نفوسهم الحركة الصهيونية، وكذلك على تربيتهم بطريقة حاقدة على العرب وبالتالي تهيئتهم للمعارك المستقبلية ضد الفلسطينيين نفسياً وجسدياً عبر تدريبهم على استخدام السلاح في مراحل معينة من أعمارهم. وكذلك عبر

Digitized by Birzeit University Library

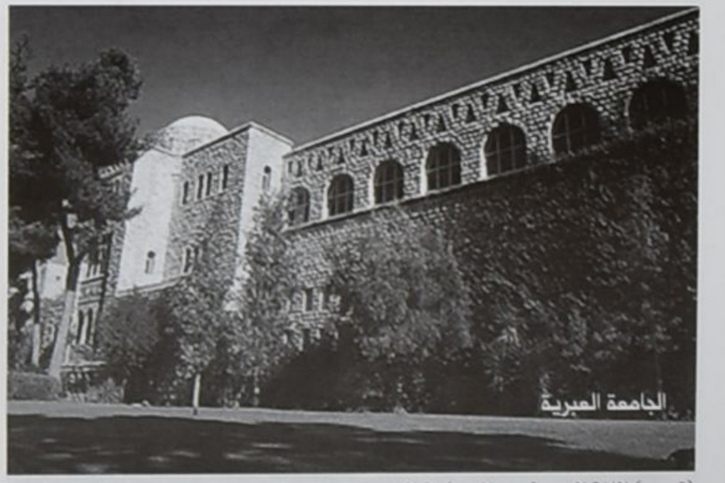
الجامعة العبرية

(تعميم) اللغة العبرية بين الصهاينة اليهود، الذي قدموا لفلسطين من دول متعددة ولها لغات متعددة، باعتبار أن وحدة اللغة تعني (وحدة التفاهم والتخاطب) بين تجمع صهيوني غير متجانس في لغته وثقافته وعاداته.

هـ- افتتاح الجامعة العبرية في القدس.

كان إنشاء الجامعة العبرية، واحدة من المهام التي كانت على جدول أعمال (البعثة الصهيونية) التي زارت فلسطين في نيسان عام ١٩١٨ برئاسة حاييم وايزمن. والذي قام بالفعل بوضع حجر الأساس لبنائها في نفس السنة، وكان رئيساً لمجلس الأمناء فيها عندما افتتحها اللورد بلفور شخصياً عام ١٩٢٥، وهذا ما يدلل على أهمية إنشائها بالنسبة للحركة الصهيونية. وذلك عبر ما يلي:

١- تطوير اللغة العبرية (وتكامل مكوناتها ومفرداتها) حيث لم تكن قد حققت شروط تكاملها بعد -حتى ذلك الحين- لأن أغلب اليهود كانوا يتكلمون (لغة اليديش) وهي لغة ألمانية مطعمة بمفردات عبرية، إضافة إلى أن باقي اليهود كانوا يتكلمون لغة البلاد التي قدموا منها، وقليل منهم يعرف اللغة العبرية برغم ثقافتها، ولا يعرفها، بل إن (هرتزل) مؤسس الحركة الصهيونية لم يكن يعرف اللغة العبرية.

٢- تمكّن الخريجين الصهاينة-وهم الجيل المعد للمستقبل- من إتقان اللغة العبرية بوصفها لغة تخاطب موحدة، وأداة ثقافة جامعة للتجمع الصهيوني في فلسطين.

٣- تقوية اللغة العبرية، واعتبارها (لغة علم وتربية وثقافة) لمختلف المعارف والآداب والعلوم والتكنولوجيا والطب والهندسة وغير ذلك. والجدير بالذكر في هذا المجال، أن الجامعة العبرية وغيرها من الجامعات في الكيان الصهيوني، تدرس أنواع العلوم والمعارف والتكنولوجيا كافة باللغة العبرية فقط.

٤- تخريج الكادرات المتعلمة والمؤهلة لإدارة المؤسسات الصهيونية ولقيادة الكيان الصهيوني حين الإعلان عنها وفي المجالات كافة.

وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن تعين هربرت صموئيل مندوباً سامياً في فلسطين وافتتاح الجامعة العبرية في القدس، وإنشاء قوات الهاجاناه هو دليل على إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.

٥- في مجال الإدارة الحكومية والوظائف الرسمية في فلسطين.

منذ البداية، عملت سلطات الاحتلال البريطاني لفلسطين، أن يكون خلاله حكومة الانتداب في البلاد، من الموظفين البريطانيين وكذلك من المواطنين اليهود-الصهاينة، ولم يكن نصيب الفلسطينيين العرب، إلا النزر اليسير، وفي المراكز الحكومية والإدارية غير الهامة. وقد استغل الصهاينة هذه الوضعية الجديدة، وعملوا على أن يكون مراكز الوظائف التي يشغلونها في خدمة المشروع الصهيوني، وذلك -بتواطؤ- من السلطات البريطانية في هذا المجال. ولذلك فقد كان مسؤول (دائرة الهجرة من الصهاينة)، كما توزع الموظفون الصهاينة على مراكز معينة مثل، البوليس، الجمارك، دائرة الجوازات، مؤسسات السياحة، الضرائب وكل ذلك من أجل تسهيل دخول المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين، وأيضاً للمساعدة على تهريب الأسلحة إلى البلاد، أو للتحكم في إدارات البلاد، وما يعنيه ذلك من خبرات في مجال وظائفهم.

٦- في المجال الاقتصادي.

تؤدي الحياة الاقتصادية -ومنذ فجر التاريخ- دوراً مهماً وأساسياً في حياة الأفراد والأسر والتجمعات البشرية والدول. وبما تعنيه من نشاط تعاوني في العمل، أو نشاط في مجال التبادل التجاري، أو في مجالات التكامل الاقتصادي بشكل عام.

مع بداية الاستيطان اليهودي-الصهيوني في فلسطين، فقد استعان هؤلاء المستوطنون بعمال البناء الفلسطينيين العرب وكذلك بالعمال الزراعيين. إلا أنه وبعد الاحتلال البريطاني لفلسطين، وتزايد عدد المهاجرين الصهاينة، وزيادة سعة الأراضي المستحوذ عليها، واتساع عدد المستعمرات التي أقاموها، وزيادة تجمعهم في بعض المدن وخاصة في تل أبيب، وما جلبه المستوطنون من أموال ومن خبرات صناعية فقد أقاموا العديد من (المؤسسات الصناعية والإنتاجية) إضافة إلى ما تنتجه المستوطنات من منتجات زراعية وغذائية وحيوانية.

بسبب كل ذلك، فإن الصهاينة، وبتوجيه من قياداتهم في فلسطين، وبخاصة من دافيد بن غوريون أخذوا يعملون ومنذ بداية العشرينيات من القرن الماضي على حصار وخنق العمل والسوق والاقتصاد الخاص بالعرب الفلسطينيين من خلال الإجراءات التالية:

أ- إحلال العمل العبري في المستعمرات والمنشآة الصهيونية.

وهذا يعني أن يعمل العمال اليهود في هذه المجالات بدل أن يعمل فيها العمال العرب، وخاصة في المستعمرات. وقد قال بن غوريون بهذا الصدد (ليس يهودياً من لا يعمل في الأرض) وقد قصد بذلك (ربط اليهودي بالأرض الموعودين بها). وهذا ما شرد الاف الأسر الفلسطينية، الذين كانوا يعملون في (أراضي الإقطاعيين العرب) والذين باعوها للصهاينة. إضافة لما لحق بالعمال الزراعيين الفلسطينيين الذين كانوا يعملون في المستعمرات، أو عمال المياومة الذين كانوا يعملون في منشآت صهيونية. وهذا ما يعني التضييق على المزارعين والعمال العرب وإفقارهم، وما يعني كذلك (السيطرة على سوق العمل في البلاد).

ب- المنافسة والمضاربة على الصناعة والمنتجات الوطنية الفلسطينية.

تمكن المستوطنون الصهاينة في فلسطين، بما أحضروه معهم من أموال، وبما قدمته لهم المنظمة الصهيونية العالمية من مساعدات،

وبما لهم من علاقات تجارية وصناعية مع المؤسسات الأوروبية والأمريكية، من إقامة منشآت صناعية حديثة-بمقياس تلك الفترة الزمنية، وبالقياس إلى الصناعة الفلسطينية الضعيفة، وأن تقدم للسوق منتجات (بكلفة أقل للوحدة الإنتاجية) مما مكنهم أن يضاربوا وينافسوا المنتجات الوطنية الفلسطينية، مما أثر سلباً على (دورة رأس المال) في السوق الوطني الفلسطيني، وبالتالي تهديداً حقيقياً للصناعة الوطنية الفلسطينية. أي أن الحركة الصهيونية قد عملت وفي وقت باكر على السيطرة على (سوق العمل والصناعة والإنتاج، والتجارة الداخلية والخارجية) في فلسطين. وحصار وخنق الاقتصاد الفلسطيني.

إن هذه (المنهجية) العدائية للصهاينة، والتي نراها تتكسر بعد مئة عام مع الفلسطينيين في الضفة الفلسطينية من خلال جدار الفصل العنصري، ومن خلال مئات الحواجز، وتقطيع أوصالها، وتحويلها إلى معازل وكذلك الحال في حصارها لغزة اليوم.

ج- حصول الشركات الصهيونية على المشاريع الكبرى في البلاد (فلسطين).

حصلت الشركات الصهيونية من حكومة الانتداب، على امتياز (شركة كهرباء روتنبرغ) وكذلك على امتياز (شركة البوتاس) في حزيران ١٩٢٩، ويعطي هذا الامتياز حق الشركة في استغلال أملاح ومعادن البحر الميت، التي قدرت قيمتها بـ (١٤ مليار جنيه) بمقياس ذلك الوقت؟!!

٧- في المجال العسكري-وتشكيل قوة الهاغاناة.

منذ بداية الاستيطان الصهيوني الجديد في فلسطين، اجتازت تشكيل قوة حراسة المستعمرات وصولاً لتشكيل قوة الهاجاناة بعدة مراحل هي:

أ- في بداية الاستيطان وبناء المستعمرات، استعان الصهاينة ببعض أفراد من القبائل العربية القريبة لحراسة تلك المستعمرات مقابل مبالغ مالية يدفعونها لهم.

ب- لكن مع مقاومة الفلسطينيين العرب لتلك المستعمرات ومهاجمتها، أخذت الحركة الصهيونية وسكان المستوطنات، ينشؤون قوة حراسة تلك المستعمرات من المستوطنين أنفسهم، وشكلت لهذه الغاية عدة منظمات وأهمها منظمة (الحارس الفتي) التي كانت تتولى حراسة المستعمرات والدفاع عنها ضد هجمات المقاومين العرب.

ج- بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين، أخذت المنظمات والأحزاب ومنظمات الشبيبة تحت شعار رحلات الكشافة اليهودية الصهيونية، بتعرّف طبيعة الأرض الفلسطينية، وتدريب أفرادها على استخدام السلاح، لا بل- الحصول عليه سواء من الجيش البريطاني، أو من محاولة (تهريبه) إلى فلسطين، ومرات عدة تمكن فيها عمال الميناء من الفلسطينيين في ميناءي حيفا ويافا، من ضبط صناديق الأسلحة والذخائر المهربة إلى الصهاينة، واحتجوا على ذلك (بالإضراب عن العمل) لأن سلطات الاحتلال لم تتخذ موقفاً من تهريب الأسلحة إلى الصهاينة.

د- إنشاء وحدات الدفاع الذاتي (الهاجاناه).

لقد كان تشكيل هذه الوحدات العسكرية، هي الظاهرة الأكثر خطراً على الفلسطينيين مع تشكيل (الوكالة اليهودية) والتي هي تماثل منظمة الصهيونية العالمية في فلسطين، وكانت بمثابة حكومة داخل حكومة، تراقب وتتابع حكومة الانتداب البريطاني، كما كانت تشرف على شؤون الصهاينة في فلسطين كافة وتوجههم. وأما وحدات الهاجاناة، فإنها تمثل مطامح الحركة الصهيونية في السيطرة العسكرية على فلسطين. وحين سئل بن غوريون عن أهداف تشكيل الهاجاناة أجاب بما يلي:

١- لمواجهة الخطر الفلسطيني.

٢- إعطاؤنا حرية واستقلالاً أكبر، في برنامجنا الاستيطاني لفلسطين.

٣- تأمين الاعتماد على الذات لشعبنا.

٤- تشكيل قوة يمكن الاعتماد عليها في أية مواجهة مع العرب.

وازاء كل ما تقدم، فإن الصهاينة لم يقفوا عند هذا الحد، بل استشعروا بقوتهم بما حققوه، لذلك تطاول طموحهم وطمعهم ليطال الأماكن المقدسة، ولا سيما أن رئيس الحاخامات اليهود (إبراهيم إسحق كوله) قد أفتى بوضع يد اليهود على (حائط البراق) وجميع أماكن الهيكل المزعوم، الذي هو الحرم القائم في وسطه (المسجد الأقصى وفيه قبة الصخرة). من هنا كانت انتفاضة هبة البراق عام ١٩٢٩، التي أشرنا إلى أحداثها في الدراسة الرابعة.

وأخيراً أخي القارئ الكريم، نأمل أن نكون قد وفقنا بإلقاء الضوء، وإن على نحو مكثف ومختصر-على المشهد البريطاني في الفترة الزمنية موضوع الدراسة، وعلى (المشهد الصهيوني) المعادي للفلسطينيين والعرب والطامع بمقدساتهم، والمستمر حتى الآن، فمتى يا ترى نشهد (موقفاً عربياً-إسلامياً) ينهي المشهد والوجود الصهيوني البغيض، ويحرر فلسطين والمسجد الأقصى ويصون أرض العرب وثرواتهم وحريتهم؟!!

المراجع:

١- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية -تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري، الصادر في القاهرة-الأهرام، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية عام ١٩٧٥.

٢- الموسوعة الفلسطينية-الطبعة الأولى- الجزءان الثالث والرابع، الصادرة في دمشق عام ١٩٨٤.

٣- فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٢-تأليف الدكتور كامل محمود خلة-إصدار المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان-طرابلس -الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية-الطبعة الثانية ١٩٨٢.

٤- إسرائيل في خمسين عاماً-الجزء الأول- تأليف الدكتور إلياس شوفاني- إصدار دار جفرا للدراسات والنشر -دمشق-حمص- الطبعة الأولى ٢٠٠١.

٥- ثورة فلسطين ١٩٣٦- ١٩٣٩ وأثرها في لبنان-تأليف زياد الصغير الطبعة الأولى- إصدار دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا- اللاذقية عام ١٩٨٤.

٦-جذور القضية الفلسطينية-تأليف الدكتور إميل توما-الصادر عن منظمة التحرير الفلسطينية -مركز الدراسات -بيروت عام ١٩٧٣.

٧-المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧- ١٩٤٨-تأليف ناجي علوش إصدار دار الطليعة -بيروت عام ١٩٧٠.

٨-الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢-١٩٤٨-تأليف ناجي علوش -مركز الأبحاث-بيروت ورابطة الأدباء -الكويت.

٩-كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام ١٩٤٨-تأليف عبد القادر ياسين إصدار دار الجليل للطباعة والنشر-الطبعة الثالثة- دمشق ١٩٨٤.

١٠-فلسطين عبر ستين عاماً-تأليف إميل الغوري- إصدار دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٢.

١١-دور بريطانيا في تهويد فلسطين- تأليف الدكتور علي أبو الحسن طبع في مطابع جوهر الشام عام ٢٠٠٧.

Digitized by Birzeit University Library

يوم الأرض في السينما الفلسطينية
(فيلم يوم الأرض) للمخرج غالب شعث أنموذجاً

موسى سـ. موسى

شكلت الأحداث التي وقعت داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، في الثلاثين من آذار عام ١٩٧٦م، مادة دسمة للفيلم الفلسطيني الذي تحدث عن تلك الوقائع والذي حمل اسم يوم الأرض للمخرج الفلسطيني غالب شعث.

وتكمن أهمية هذا الفيلم في أنه كان وفي تلك الأيام من أوائل الأفلام العربية عامةً والأفلام الفلسطينية خاصةً والتي صورت مادته الرئيسة داخل أراضي وقرى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، وهو لم يعتمد فقط على أرشيف وكالة الأنباء العالمية التي صورت تلك الأحداث، بل كان هناك فريق تصوير سينمائي ذهب خصيصاً لتصوير الاحتفالات والمسيرات التي أقيمت في الذكرى الأولى ليوم الأرض.

وبالعودة إلى بناء الفيلم ومشهديته حيث كانت البداية باستعراض المناطق والقرى الفلسطينية حيث جرت أحداث يوم الأرض، حيث نرى الأراضي الزراعية الخصبة والمروج المزروعة بأشجار الزيتون وأنواع المحاصيل الزراعية المختلفة. ومصادرة الأراضي تلك كانت هي سبب الشرارة في الأولى لاندلاع تلك الانتفاضة الشعبية بعد أن قامت قيادة الجيش الصهيوني بالاستيلاء على مساحات واسعة من تلك الأراضي وحولتها إلى مناطق عسكرية محظورة والى معسكرات وميادين للتدريب وإقامة الكتل الاستيطانية عليها وحرمت أصحابها الشرعيين من دخولها والعمل فيها.

ومن الجدير بالذكر أن تلك المساحات والأراضي الخصبة التي تم الاستيلاء عليها تسمى المنطقة رقم (٩) وهي تمتد على أراضي قرى سخنين وعرابة ودير حنا وتبلغ مساحاتها ١٨٠٠٠ دونم.

وقد سقط من جراء تلك الانتفاضة المبكرة ستة من الشهداء وعدد كبير من الجرحى وتم اعتقال العديد من أبناء تلك القرى الفلسطينية.

وبالعودة إلى أحداث فيلم يوم الأرض وبعد المقدمة التي تم من خلالها استعراض لبعض القرى الفلسطينية حيث جرت أحداث ذلك اليوم، بعدها يخرج علينا بعض قادة العدو الصهيوني وهم شمعون بيريز – مناحيم بيغن وأريل شارون وهم يتحدثون عن المساواة والحرية والديمقراطية التي ينعم بها الفلسطينيون في ظل الاحتلال وان من أولويات حكام (إسرائيل) هي احترام أولئك السكان وعدم إيذائهم أو مصادرة أراضيهم، وعلى خلفية ذلك الكلام الذي كان يتفوه به الحكام الصهاينة كانت تشير الصور إلى عكس ذلك حيث نرى الممارسات القمعية من قبل الجنود الإسرائيليين والوحشية التي كانت تتعامل بها آلة الحرب المدججة والترسانة المسلحة مع أشخاص عزل وصدور عارية ومدى وحشية التعامل مع المعتقلين والمتظاهرين العرب.

وعلى خلفية تلك المشاهد المؤلمة كانت ترافقها موسيقا وأصوات المجموعة وهي تردد للسلام للسلام هيا نمضي للسلام، وهذا النشيد مستوحى من نشيد السلام لأطفال مدرسة قرية الطيبة.

ويتابع الفيلم مسيرته حيث هناك لقاءات مع عدد من رؤساء المجالس المحلية لقرى ومدن فلسطينية منهم الشاعر توفيق زياد والذي كان حينها رئيس بلدية الناصرة، ورئيس مجلس قرية عرابة ورئيس مجلس قرية الطيبة وقرية باقة الغربية وغيرهم والذين تحدثوا بشهادات حية عن الأحداث التي عاشوها أيام يوم الأرض وعن ممارسات جيش وشرطة الاحتلال في قمعهم للمسيرات والاحتجاجات التي قام بها المواطنون الفلسطينيون.

إلى ذلك هناك شهادات حية لكثير من الأشخاص الذين تعرضوا للاعتقال والضرب والتعذيب على يد السجان الصهيوني وعرضوا لكاميرا آثار ذلك التعذيب والتي حملته أجسادهم إضافة إلى آثار الرصاص الذي سُكن أجسادهم.

ويظهر جلياً ومن خلال تلك الشهادات المشاركة الواسعة من قبل جميع شرائح الشعب الفلسطيني في تلك الانتفاضة الشعبية فقد رأينا العامل والمزارع والمثقف ورأينا الأطفال والشيوخ ولم يتردد أحد بالإدلاء لشهادته أمام الكاميرا غير مكترث بما سيحصل له ولو ظهر في الفيلم وهم القابعون تحت نير الاحتلال.

ويسجل الفيلم التشييع الذي أقيم لبعض الشهداء الذين سقطوا في ذلك اليوم ومدى المشاركة الواسعة من قبل الجماهير الفلسطينية في ذلك التشييع والذي يشير إلى أن ذلك الإرهاب الصهيوني والتنكيل الذي حصل في ذلك اليوم لم يفت في عضدهم ولا يزالوا ينادون بالمقاومة والتشبث بالأرض والدفاع عنها في وجه ممارسات المصادرة والاستيلاء من قبل الحكومة الصهيونية وكان ذلك جلياً من خلال الهتافات التي رافق تشييع الشهداء.

وقدم لنا الفيلم الاحتفال الجماهيري الشعبي والذي أقيم في الذكرى الأولى لشهداء وأحداث يوم الأرض حيث جرى لقاء كبير على أراضي

قرية عرابة حيث ألقيت كلامات أبنت الشهداء الستة الذين رووا بدمائهم الأرض الزكية، وحضت تلك الكلمات على التمسك بالأرض ورفض مصادرة الأراضي والتنديد بالإجراءات والممارسات الصهيونية ضد أبناء الشعب الفلسطيني ومواصلة النضال بجميع أشكاله.

وإذا كان لا بد من كلمة حول هذا الفيلم وهذه التجربة يمكننا القول بان فيلم يوم الأرض كشف ويصدق الواقع الذي يعشيه المواطن الفلسطيني داخل مناطق المحتلة عام ١٩٤٨م، ومدى ارتباط أولئك الناس بأرضهم ودفاعهم عنها برغم سنوات الاحتلال الذي سلبهم تلك الأرض وطرد عدداً كبيراً من أهلهم منها وليس كما يصور الحكام الصهاينة أن أولئك المواطنين يعيشون بكامل حقوقهم وينعمون بحريتهم كاملة.

لقد لعب بناء الفيلم الفني والفكري دوراً هاماً وأعطى للمادة الوثائقية المستخدمة قيمةً عالية، والمشاهد التي كانت تصور التصدي للجنود الصهاينة من قبل المواطنين الفلسطينيين والتي عرضت بالحركة البطيئة أدت إلى خلق تركيز وشد انتباه للمتلقي وبينت مقدار العنف الممارس من قبل الجلاد ضد الضحية، برغم أن الفيلم يحفل بمقابلات كثيرة والتي في العادة تؤدي بالمشاهد إلى الملل إلا أننا في هذا الفيلم ونظراً للاستخدام السليم لوثيقة المصورة والتي عرضت بالحركة البطيئة أدى إلى كسر الرتابة وإبعاد شبح الملل عن تلك المقابلات.

ولعل موسيقا الفنان حسين نازك كان لها دور كبير في إعطاء جمالية مميزة لأحداث الفيلم وكان الاستخدام الممنهج للحن نشيد السلام الدور الفعال في إعطاء الصورة المشاهدة دورها الكبير في التأثير على المتابع، وكانت الجملة الدائمة التكرار للسلام للسلام تعطي أثرها الواضح حيث كانت إما منسجمة مع الصورة أو مضادة لها مما يحقق هدف وفكرة الفيلم الرئيسة.

وفي النهاية لا بد من الإشادة بالدور الكبير للمخرج غالب شعث الذي أستطاع أن يوظف المادة الفيلمية المصورة والمادة الأرشيفية لأحداث يوم الأرض وبان يخرج هذا الفيلم القيم بمادته ومضمونه وأن يوصل الشحنة المراد إيصالها إلى المتلقي ومن خلال التوظيف السليم للصورة والصوت ومن خلال الأسلوب المنتاجي لقيس الزبيدي والذي جاء منسجماً مع الفكرة التي أرداها المخرج غالب شعث

لعنة كنعان «العربي»!!!

جمال الدين الخضور

يقول الدكتور منير العكش في كتابه «أمريكا والإبادات الثقافية/لعنة كنعان الانكليزية/»: على مدى خمسمائة سنة، تعرّض هنود أمريكا لحملات غزو أوروبية سلبتهم إنسانيتهم، وأنزلت بهم فنوناً عجيبة من القتل والتدمير، ونظرت كلها إلى حياتهم ولغاتهم وأديانهم باحتقار، لكن الإنكليز (أو الزنابير WASPS (وهو الاسم المختصر والمتداول في الولايات المتحدة للبيض والانكلوسكسون البروتستانت، وهو لا يقتضي مدحاً ولا ذمّاً، فهو يشملهم في وطنهم الأم بريطانيا وفي كل مكان استعمروه، وانتقال مركز الثقل من لندن إلى واشنطن لا يشكل انقطاعاً في المسيرة) وحدهم كانوا الأكثر عنجهية وعدوانية وإصراراً على تدمير الحياة الهندية واقتلاعها من الذاكرة الإنسانية. وحدهم جاءوا بفكرة مسبقة عن أمريكا، نسجوها من لحم فكرة "إسرائيل" التاريخية، فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ. فاستَنسخوا بذلك أحداثها، وتقمّصوا أبطالها، وجعلوها قدرهم المتجلّي.

هذه الفكرة هي التي أرست الثوابت التاريخية الخمسة التي رافقت كل تاريخ أميركا:

(١) المعنى "الإسرائيلي" لأميركا.

(٢) عقيدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي والثقافي.

(٣) الدور الخلاصي لعالم.

(٤) قدرية التوسع اللانهائي.

(٥) حق التضحية بالآخر.

فإذا كانت فكرة "إسرائيل التاريخية" نفسها، وهماً مُختلقاً مبنياً على التلفيق والكذب بمماكلها الوهمية، ومعاركها الخلّبية وملوكها الموجودين فقط في أذهان صانعيهم، وبهياكلهم المرفوعة على أوتاد النفاق والكذب والتلفيق. فلا مكتبة عبلة (إيبلا) بألواحها الاثنين وأربعين ألفاً، ولا مكتبة نينوى، وتل العمارنة، والديوان الفرعوني المصري، الذي لم يترك صغيرةً ولا كبيرةً ولا شاردةً أو واردةً إلاّ دوّنها، ولم يأت أيّ منهم على ذكر ذلك إطلاقاً، فكيف بُنيت إذن تلك العمارة من الكذب والنفاق، وامتدت تاريخياً لتشكّل ذلك الاستناد والأيديولوجية إلى استعمار الشعوب وسحقها بيولوجياً وعرقياً واحتلال أراضيها وطرد من تبقى بعد السحق والإبادة إلى اللا مكان.

لذلك يقول التقرير السنوي لمفوضي الشؤون الهندية الأمريكي عام ١٨٨٧: "كنّا نقصُّ عليهم قصص داود وغولياث، ونروي لهم كيف فلق الله البحر للإسرائيليين، ولماذا أمر بذبح الفلسطينيين. ونأمرهم باحترام السبت".

أولم يقل أوليفر كرومويل ١٥٩٩–١٦٥٨: "الله رجل إنكليزي"؟!

أولم يقل المؤرخ البريطاني هاري كلفرول بورتر:

"كان لدى الإنكليز وهم يبنون إسرائيل الجديدة □أمريكا□ هوسٌ بكنعنة السكان الأصليين المنذورين للإبادة".

وتضيف المؤرخة أندريا سميث (من شعب الشيروكي): "إنهم يعتبرون الهنود الحمر والكنعانيين تجسيداً حياً للفاحشة الجنسية، ويقولون إنّ أجسادهم وأرواحهم نحس، ولا حرمة لها. لهذا يستحقون التدمير الجماعي".

ولنتابع ذلك التأسيس في قول أرثر بيرد (١٨٩٩):

"الولايات المتحدة- بحدُّها من الشمال القطب الشمالي، ومن الجنوب منطقة الأنترتيكا (القطب الجنوبي) ومن الشرق يحدها الإصحاح الأول من سفر التكوين، أما من الغرب فحدودها يوم القيامة".

فإن كان يحدها من الشرق، الإصحاح الأول من سفر التكوين، فماذا يمكننا أن نقول بعد ذلك عن وعد بلفور الذي أتى بعد ذلك النص بعقدين من الزمن. فالقضية إذن تحتمل التأسيس ثقافياً- معرفياً، عبر تحويل تلك الأوهام والتلفيقات إلى حاضنة معرفية توسس لخيال صهيو-أمريكي يتجسد في البنية الثقافية الشعبية وكأنه حقائق واقعية تاريخية قائمة ميدانياً. وهذا يتطلب بدوره الانتقال إلى البُنى والأدوات التنفيذية عبر الأطر الأيديولوجية والسياسية. وهذا ما كان يشي

Digitized by Birzeit University Library

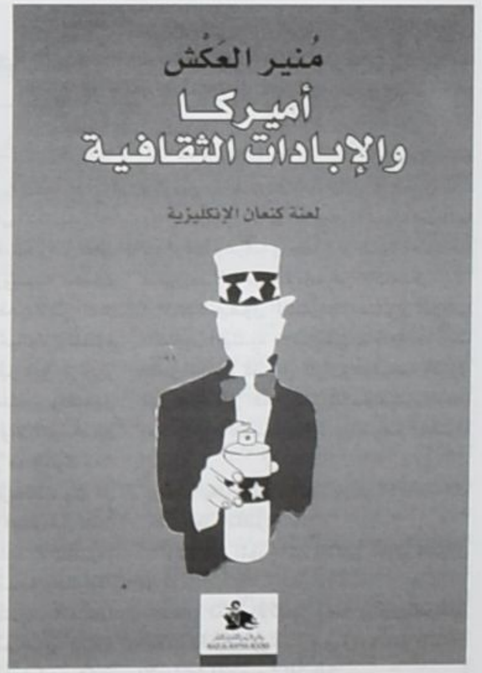

بما كان وما زال يُمارس على واقع الأرض العربية في فلسطين ولبنان والعراق والصومال والسودان وأخيراً اليمن. وإذا كانت فلسطين هي المركز التاريخي لاشتغال الأوهام الصهيو-زنابيرية (زنابير)WASPS وارتكبت على أرضها المجازر والقتل والطرد والاقتلاع والتشريد فإن من يقرأ في التأسيس لذلك سيكتشف معنى ما يجري على الساحة العراقية، بحيث يتحركون في مجازرهم من نقطة انطلاق أساسية تعتبرنا نحن –العرب–، لا نستحق الحياة لا على هذه الأرض ولا على غيرها، وما فعلوه في أكثر من مائة مليون إنسان في أمريكا يشير بالدلالات والمعنى إلى ذلك. فإذا كان نصهم التوراتي دفع بهم إلى تحديد الحدود الشرقية للولايات المتحدة الأمريكية بالإصحاح الأول من سفر التكوين، فأين تقع فلسطين إذن، أو العراق أو غيرها.

من هنا يؤكد منير العكش في مؤلفه المذكور:

"إن احتلال الأرض واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ عملٌ مقدسٌ أمر به الله. وبالتالي، فإنه يسمو على أخلاق البشر، وأعراف البشر، وقوانين البشر، وحياة البشر وحريات البشر".

والمسألة الكنعانية بما حملت للبشرية من حضارة عتيدة وتاريخ عريق وأبجدية ما زال يستخدمها الغزاة والطغاة والجلادون أنفسهم، والتي كللت البنية الحضارية التاريخية في المرحلة النطوفية وما حملته من ثورة زراعية (الحداثة الزراعية– الحداثة الأولى في تاريخ البشرية) وكان مركزها وقلبها فلسطين الحالية وحملت للبشرية ولأول مرة في تاريخها المعقولية والموضوعية والمجتمعية وما وصلها لاحقاً من حراك خلاّق للبيوسيين والعموريين باتجاه الحضارة الكنعانية الجليلة...

بقيت تشكل العقدة النفسية القاسية والصلبة في منظومة البرابرة اليهو-صهيو-أمريكيين، بنموذجهم الزنابيري WASPS، بامتداده نحو القارة الأوروبية.

لذلك "جسّدت فكرة أمريكا مشيئة الله في أرض كنعان الجديدة [أمريكا] وأهلها وثقافتها كما جسدت فكرة "إسرائيل" مشيئة الله في أرض كنعان القديمة [فلسطين] وأهلها وثقافتها". إذن ثلاثية الوعد-الأرض-الشعب البديل، شكّلت النموذج التطبيقي لنشوء أمريكا، واستراليا، وعجزوا عن تطبيقها في آسيا (الصين، فيتنام، تايلاند...) ويحاولون الآن تطبيقها في الأرض العربية، لأن العنصرية الكامنة المستبطنة وغير المعلنة، في الخطاب الأيديو-سياسي وفي المسكوت عنه تعلن كما يقول الدكتور منير العكش: "إنّ المستوطنين الإنكليز كالإسرائيليين التاريخيين، استثناء وجودي يحتكر لنفسه الاضطلاع بإرادة الله ويختص وحده بتنفيذها.

لذلك بدأ المشروع الصهيوني يفصح عن صيرورته الميتولوجية بطرح شعار "يهودية الدولة"، ليس فقط بهدف التمهيد لقيام دويلات وكيانات على أسس دينية وطائفية ومذهبية ضمن المشروع نفسه، بل بهدف الانتقال إلى تحقيق مقولة الاضطلاع بإرادة الله والاختصاص بتنفيذها. فإذا أطلق الإنكليز تسمية الكنعانيين على كل الشعوب التي أبادوها، فإن زرع الكيان الصهيوني في الأرض العربية يعني المواجهة الحقيقية مع الكنعانيين العرب الحقيقيين، "لأنّ معاملة السكان الأصليين لا تخضع للقوانين الأخلاقية أو الإنسانية، أو المبادئ العقلية بل يحكمها ما نسجه العبرانيون من أساطير عن تجربتهم مع الكنعانيين. وهذا ما جعل المستعمرين الانكليز الذين يعتبرون أنفسهم شعباً مختاراً يطلقون اسم الكنعانيين على كل الشعوب التي أبادوها. وهذا يقودنا إلى "أن نجاح فكرة أمريكا في العالم الجديد يشكّل مثالاً طيّباً يمكن تكراره حيثما اشتهى شعب الله. فالأرض كما يقول لانسلوت أندروس "صحن من اللحم موضوع على المائدة يقطع منه الإنسان الأبيض ما يشتهي". وما تحقق في كنعان المجاز، ليس إلاّ خطوة على طريق كنعان الحقيقية "فلسطين والوطن العربي".

إنّ لعنة كنعان العربي، في تصديه ومقاومته للعنف والإبادة التي يتعرض لها لن تسكن نخاع الزنابير كي يمارسوا عنفهم "المقدس"، بل تسكنها لتشلّ نخاعهم أولاً، ولتريهم نفاق الوهم الذي بنو عليه أيديولوجيتهم وهياكلهم الوهمية والخلبية.

والثقافة التي يستند إليها الكنعاني العربي من المحيط إلى الخليج متجذرةً في عشرة الاف عام، والأرض التي أنبتت الزيتون الكنعاني من فلسطين وحتى المغرب العربي، مروراً بشبه الجزيرة العربية هي وعد الله والقدر والأزل للعرب. والوعد حمله أجدادنا منذ أريحا– ووادي النطوف منذ عشرة الاف عام واستمر في التوحيد الكنعاني والنيلي (الأخناتوني) وفي الأحناف والصابئة ومن ثمّ في المسيحية العربية، فالرسالة المحمدية التي حرّرت كل أشكال ثقافتنا من الشرك، وعَدّ لنا بارضنا ولعنة كنعان العربية، فعل ثقافي وأخلاقي، وستحلُّ على من يحاول تطبيق النماذج الأخرى على بشر من طراز العرب الكنعانيين.

إن كتاب الدكتور منير العكش [أمريكا... والإبادات الثقافية/ لعنة كنعان الانكليزية/، دار رياض الريس للكتب والنشر ط١ ٢٠٠٩ الذاخر بالوثائق وبالجهد المضني والصبر يتابع ما كتبه العكش في أمريكا والإبادات الجماعية، ويوثق كتاب نزفتيان تيودوروف ["فتح" أمريكا].

يوضّح ما يجهله كثيرون من حملة الخطاب السياسي الرسمي، ويعين المسكوت عنه في الخطاب العنصري الصهيو أمريكي.

والمقاوم والفدائي عصيّان على الإبادة.

١٧ نيسان يوم الأسير الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

حتى نلتقي

وآذار ذكرى استشهاد رئيس الأركان المصري الفريق أول عبد المنعم رياض... بلاغة تاريخ فاعل:

يا أيها الغارق في دمائه.. جميعهم قد كذبوا... وأنت قد صدقت.. جميعهم قد هزموا.. ووحدك انتصرت.. قالها نزار قباني ليكثف سيرة محارب عنيد، أشبه بأسطورة بل خط قدره ليكون أسطورة كما حياته واستشهاده، ولعله صنع أسطورته الخاصة في زمن البطولات والمآثر.. إنه الفريق أول عبد المنعم رياض الذي استشهد بعد يوم واحد من بدء حرب الاستنزاف وسط جنوده وضباطه، وفي حقل النار، ليكون قوة المثال لذلك الشعار الخالد الذي أطلقه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر: "إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة"، وصف بالجنرال الذهبي، وأضحت فلسفته القتالية علامة في صيرورة فكر عسكري إستراتيجي، يكثف فهما عاليا للصراع، ولطبيعة المواجهة ومقارعة العدو على أكثر من جبهة، وأكثر من مستوى، فلسفة تحيلنا إلى سياق حياته الاستثنائية والنادرة، في مشاركته بالحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ في الصحراء الغربية ومرسى مطروح، وحرب فلسطين عام ١٩٤٨، وحرب السويس عام ١٩٥٦، وإشرافه على الخطة المصرية لتدمير خط بارليف خلال حرب الاستنزاف، ثم تدمير الخط قبل معارك ١٩٣٧، ومشاركته في معارك الشرف والكرامة في رأس العش عام ١٩٦٧، وإغراقه للمدمرة "إيلات"، بل إعادة بنائه للجيش المصري ليضطلع بأدوار بارزة.. أليس هو القائل: إذا وفرنا للمعركة القدرات القتالية المناسبة وأتحنا لها الوقت الكافي للإعداد والتجهيز وهيأنا لها الظروف المواتية، فليس ثمة شك في النصر الذي وعدنا الله إياه، في ذلك السياق الوارف فداء وإباء، جاهد عبد المنعم رياض بأقصى ما يكون الجهد، والمهارة، بموازاة نبوغه في التحليل العميق لمبادئ الإستراتيجية العسكرية وتطبيقها في مسرح العمليات، كما إيمانه بحتمية مقاومة الكيان الصهيوني، وبأن العرب لن يحققوا نصرا، إلا في إطار إستراتيجية شاملة اقتصادية وعسكرية بأن معا.

كان عبد المنعم رياض، بلاغة تاريخ فاعل، بلاغة شعب جسور وأمة حية، وهو ينتصب دليلا حيا على الإيمان بالحق والدفاع الذكي عن مصر والأمة، ويرث البطولة، فارسا عنيدا يجترح شرط الكرامة، ليكتب مأثرته في خندق متقدم، ووعي متقدم، شهيدا كبيرا تماهى مع رؤيته بحتمية أن قدر المواجهة هو النصر، ولا شيء أقل، هي رؤية فارس شاهد على زمن كان الاسم الحركي للبطولة والجسارة في الدقائق الأخيرة من حياة عبد المنعم رياض، ثمة ما يهيئ للأسطورة بأن تتخلق، ثمة ما يهيئ للنشيد أن يعلو على "أسنة الرؤية" و"ما انطفأت صيحات الحرب والدرب طويل"، لتسطر إرادة المحارب حكاية ضد الصمت والنسيان، حكاية ذاكرة مشبعة حد الامتلاء، بما يكسر تردديا ونكوصا، حكاية سوف يسترذها وجداننا الجمعي-الفردي بكل ما انطوت عليه تفاصيلها المكتوبة بحبر-دم ويجمر رؤية يتسع مجازها، وتتسع أغنياتها البصيرة، من غبار معركة وشبكة، أو صمود قار، عبد المنعم رياض حكاية مصرية فلسطينية عربية كونية بامتياز القول- الفعل، لكأنها نسغ وجود، لتكون الأمة.. أو تكون، كما قدر بطل عشق النزال، ندا جسورا فذا، كحلم يستعاد كلما شئنا روايته وتفسيره، هو الكامن في طبقات التاريخ، هو التاريخ الحاضر بكثافته ببلاغته الأخيرة، النصر الذي يصوغه الفرسان الشهداء وأجملهم من يزهو في يوم مجيد، يتجاوز الاسم الزمان والمكان، ليصبح عطر كرامة نافذ، على امتداد شقائق النعمان، في كتاب الأرض، حينما يتكئ على غيمة ماطرة، أو حينما يتوسد على جذور دافئة، تمتد وتتشكل، كما الروح في أقصى نزالها.. مقاومة، هكذا يحضر عبد المنعم رياض، في درسه الأعلى، كأكثر الأساطير واقعية، لينجز صورته المشتهاة شهيدا حيا يومئ لطيور النار أن تملأ فضاءنا، وتكتب سطرا أثيرا في معنى الملحمة..

أحمد علي هلال

Digitized by Birzeit University Library